الباب الثاني

في إثبات نبوته وتحقيق رسالته

obeikandl.com

obeikandl.com

الدلالة على نبوة المسيح : اعلم أن في إثبات نبوة المسيح عليه السلام [إرغاما][1] لليهود والنصارى جميعاً، وذلك أنهم ارتكبوا في أمره طرفي نقيض .

أما اليهود ـ خذلهم الله ـ فإنهم يرمونه بالكذب والسحر والنيرنجات[2] واستسخار الشياطين في أغراضه ومآربه، فقالوا : إنه إنما يخرج الشياطين من الانسان ببعلزبول[3] رئيس الشياطين، وقالوا : إنه لم يحي ميتاً قط ولا أبرأ ذا علة وعاهة، ولكنه واطأ صديقا له يقال له ألعازر[4] فتماوت ثم إنه دخل عليه في جماعة معه فوجد أمه تبكي، فقال لها : لا تبكي، ثم وضع يده عليه فقام وادعى في البلد أن المسيح أحياه، وكانت أمه تهتف بذلك لشغفها بولدها[5] .

وقالوا : وواطأ آخر فجلس على الطريق كأنه زمن فلما طال مقامه / وعُرِف ١/٣٣/أ بالزمانة والاستعطاء مَرَّ به في أناس معه كأنه لا يريده فناداه : ارحمني يا ابن داود . فأجابه : ما الذي تريد؟ فقال : أريد أن أنهض . فأخذ بيده وأقامه فقام وقد تعقدت رجلاه من طول الجلوس، فكانت أمه تشيع أن يسوع أقامه .

واستبشع آخرون منهم هذا واستبعدوه فقالوا : لا، ولكن لَطُفَت معرفته بالطب حتى أبرأ الأبرص والأكمه وأقام الزمنى والمخلعين . وهم بأسرهم

---

(١) في ص (إرغام) والصواب ما أثبته .

(٢) النَّيْرَنج : أَخْذٌ كالسحر وليس به . (ر: القاموس المحيط، ص ٢٦٥) .

(٣) متى ١٢/ ٢٤، مرقس ٣/ ٢٢، لوقا ١١/ ١٥ .
وبعلزبول : اسم كنعاني ومعناه (بعل الأقذار)، وأصل هذا الاسم (بعلزبوب) وقد غيره اليهود، وأما بعلزبوب فمعناه (إله الذباب) وهو أكبر آلهة الوثنيين ولذلك دعي رئيس الشياطين . (ر: قاموس ص ١٨٣)

(٤) العازر: معناه (من يعيه بهوه) وهو رجل من بيت عينا، وكان من نصيبه أن يقيمه المسيح من الأموات، ولا يعرف بعد ذلك مكان وزمن وفاته . (ر: المرجع السابق ص ٨١٦) .

(٥) هذا ادعاء اليهود وتفسيرهم لما ورد في إنجيل يوحنا، الإصحاح (١) لمعجزة المسيح عليه السلام في إحياء الميت واسمه العازار.

ينسبونه إلى بنوّة الزنى كما شهد به الإنجيل[1] (إذ يقولون له في محاوراتهم: أما نحن فلسنا من أولاد الزنى)[2].

فإذا أثبتنا معجزاته وآياته بالطرق التي ثبتت بها معجزات موسى وغيره من الأنبياء لم يبق إلى القدح في نبوته سبيل، وكان ما يعترضون به على المسيح منعكسا عليهم في معجزات أنبيائهم[3]، وكل سؤال انعكس على سائله فهو باطل من أصله.

---

(١) يوحنا ٨/ ٤١.

(٢) ورد في كتاب التلمود - وهو كتاب فقه اليهود المقدس لديهم؛ إذ يعتبرونه التوراة الشفوية من الله لموسى عليه السلام ولكنه في حقيقته ليس إلا تفسيرات واستنباطات حاخاماتهم لنصوص التوراة؛ فقد ورد فيه (أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والنار، وأن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنى، وأن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات، وأن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها).

وجاء في التلمود وصف المسيح بأنه كان ساحرا وثنيا ومجنوناً ومرتداً كافراً وشريراً، وبأنه صنم عبده أتباعه بعد صلبه وبأن تعاليمه كذب وهرطقة ومستحيلة الإدراك. (ر: الكنز المرصود في قواعد التلمود - د. روهلنج - ترجمة د. يوسف نصر الله ص ٢٧، ١٠٥، فضح التلمود - للأب براناتيس ص ٥٥ - ٧٦).

(٣) لماذا لم يؤمن اليهود بالمسيح عليه السلام وكفروا بدعوته؟ لقد ذكر الباحثون لذلك عدة أسباب نجمل أهمها كالآتي:

١- أن اليهود كانوا ينتظرون ظهور نبي يكون ملكا عليهم ويخلصهم من أعدائهم بالسلاح، ولكنهم فوجئوا بنبي يدعو إلى الصبر والإيمان بالله ولم تتحقق فيه الشروط التي وردت عند الأنبياء السابقين - حسب زعمهم - حول المسيح المنتظر وزمانه كنزول إيليا مرهصا له، ومجيء الخير والقضاء على الشر، فلذلك انفضوا من حوله وأظهروا له العداوة.

٢- إن علماء الدين عند اليهود رأوا في المسيح رجلا جاهلا يتطاول عليهم، وعند طائفة منهم كانوا يعتبرونه أكثر الفوضويين خطورة وأضرهم بمصالحهم الدنيوية، فكان أعداؤه ينشرون أن الأعمال الخارقة التي يعملها المسيح مرجعها الشيطان.

٣- لأن المسيح عليه السلام قد خالف بعض تشريعات اليهود التي توجب مخالفتها الردة والكفر - حسب زعمهم - وذلك كقدسية يوم السبت وتحريم العمل فيه (ر: سفر الخروج (٢٠) وسفر العدد (١٥)) وكالأكل بدون غسل الأيدي. (ر: مرقس (٢) و(٧)) وكالدعاء على أورشليم بالخراب (لوقا (٢١)). (ر: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٤، ٤٥ شارل جنيبر، الفكر الديني اليهودي ص ١١٠ - ١١٢ د. حسن ظاظا، اليهودية ص ٤١، ٤٢ د. شلبي، محاضرات في النصرانية ص ٣٢ أبو زهرة، اليهودية والمسيحية ص ٢٥٠ - ٢٥٤ د. محمد الأعظمي).

وأما النصارى فإنهم مجمعون[1] على ألوهية المسيح واعتقاد ربوبيته وأنه الإله الذي خلق العالم وجبل بيديه طينة آدم.

فإذا أثبتنا نبوَّته وأوضحنا رسالته عُرِف أن الإله غيره والرب سواه، ونحن نثبت ذلك من كتب النصارى التي بأيديهم ونوضحه من قول المسيح / وأقوال تلاميذه الذين صحبوه: ١/ ٣٣/ ب

١*- قال يوحنا التلميذ: (قال المسيح لتلاميذه: من قَبِلكم وآواكم فقد قبلني وآواني ومن قبلني فإنما يقبل من أرسلني. ما من عبد أفضل من سيده)[2].

فهذا يوحنا حبيب المسيح يشهد بأن المسيح لم يَدَّع سوى الرسالة وأن من يقبل منه فإنما يقبل عن الله الذي أرسله، ويذكر أن الله غيره وأن الرب سواه، وأنه رسول من عند الله وها هو معترف بالعبودية في قوله (ما من عبد أفضل من سيده) وذلك موافق للكتاب العزيز إذ يحكي عنه ﴿**قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا**[3].

فإن زعم النصارى أنه سيد الحواريين وأنهم عبيده وأنه عناهم بقوله: (ما من عبد أفضل من سيده) أكذبهم الإنجيل إذ يقول فيه: إن الحواريين إخوته (فقال له قائل: قابل إخوتك بالباب يطلبونك، فأشار إلى تلاميذه وقال: هؤلاء إخوتي)[4] (وقال له أحدهم: ياسيد. فقال: لست أدعوكم عبيد بل أنتم

(١) إن النصارى لم يتفقوا على ألوهية المسيح إلا في القرن الرابع الميلادي بعد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م بعد أن فرض الإمبراطور قسطنطين على المسيحيين القول بذلك بالوعد والوعيد وبالسلطة. وبالرغم من ذلك فقد بقيت طوائف كثيرة على الاعتقاد بعدم ألوهية المسيح ومن أبرزها طائفة الأريوسية، وفي العصر الحديث نجد الكثير من الباحثين ومفكري النصارى ينكرون ألوهية المسيح (ر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية - لأحمد عبدالوهاب).

* الترقيم من المحقق.

(٢) يوحنا ١٣/ ١٦، ٢٠.

(٣) سورة مريم: ٣٠.

(٤) متى ١٢/ ٤٦ - ٤٩، مرقس ٣/ ٣١ - ٣٤، لوقا ٨/ ١٩ - ٢١.

إخوتي)[1] . (وقال بعد قيامه : قل لإخوتي يسبقوني إلى الجليل)[2] .

فقد ثبت بقوله رسالته وأن الله غيره وأنه غير الله ، والرسول نبي بسفر بين الله وبين خلقه .

١/ ٣٤/أ فإن قالوا : نسلم أن الله أرسله ولا غرو/ أن يرسل الله كلمته رحمة لخلقه ولطفا بهم ، وذلك أنه لما أرسل الله أنبياءه ، فكذبوهم وقتلوهم بعث إليهم ابنه الذي هو كلمته فتجسدت من مريم البتول ليتهيأ للناس السماع منها والأخذ عنها .

فنقول : هذا تعريج على ثدنات[3] الحمق وترويج بِبُنيَّات[4] الطرق ، وذلك لأن الكلمة عندكم قديمة وهي علم الله على رأي بعضكم ، ونطقه على رأي آخرين ، وإذا كانت الكلمة قديمة ، فكيف يصح إرسالها؟! أفتقولون إن الأب بعد إرسالها بقي أخرساً جاهلا بغير علم ولا نطق؟! ثم الكلمة هي صفة العلم فكيف تفارق الصفة ذات الباري والصفة لا تفارق موصوفها؟! أو تقولون إن الصفة تقوم بمحلين؟!

وأخبرونا كيف قَدِر الخلائق على رؤية الكلمة القديمة وثبتوا عند مواجهتها؟! والتوراة تشهد أن موسى بن عمران عليه السلام لم يثبت عند جلال التجلي بل خَرَّ صعقاً وصار الجبل يضطرم نارا[5] وكذلك السبعون شيخا ماتوا لوقتهم عند سماع كلام الله[6] .

---

(١) يوحنا ١٥/ ١٥ بألفاظ متقاربة .

(٢) متى ٢٨/ ١٠ .

(٣) ثَدِنَ اللحمُ : تغيرت رائحته ، وفلان كثر لحمه وثقل فهو ثَدِن ، وأمرأة ثَدِنة : ناقصة الخلق . والمراد به هنا : نواقص الحمق . (ر: القاموس ص ١٥٢٨) .

(٤) بُنيّات الطريق : الترهات (ر: القاموس ص ١٦٣٣) .

(٥) خروج ١٩/ ١٦ - ١٩ ، تثنية ٥/ ٢٣ .

(٦) خروج ١٩/ ٢٠ - ٢٥ ، ٢٤/ ٩ - ١٨ ، تثنية ٥/ ٢٤ ، ٢٥ ولم يرد فيها أنهم ماتوا عند كلام الله .

أتقولون إن موسى وصلحاء أصحابه لم يبلغوا من التمكين مبلغ / الحواريين ١/ ٣٤/ ب
الذين زعمتم أنهم شاهدوا الكلمة وخدموها؟! على أن اليهود الملاعين أيضا قد شاهدوا المسيح وقاوموه. أفتقولون إن موسى ومن معه من الأشياخ لم يبلغوا من التمكين والقوة مبلغ اليهود؟! هذا وأنتم تروون في التوراة (أن قوم لوط لما دنوا من الباب يريدون ضيفه برقت من بعض الملائكة بارقة أعشت أبصارهم، فلم يقدروا على رؤية الملائكة)(١).

فمن لم يستطع رؤية مخلوق مثله، كيف استطاع رؤية الرب العظيم والإله القديم؟!

وأخبرونا كيف تقوم الكلمة تتردد بين اليهود في الأرض نيفا وثلاثين سنة لا يسطع منها نور يغشى الأبصار ويذهل العقول ويزعزع القلوب؟!

وكيف لم [تتناوبها](٢) الملائكة ويترددون إلى خدمتها؟! وهذه التوراة تنطق (أن ابني هارون حين دنوا من قبة الزمان وبخَّرا بنار غريبة لم يؤذن فيها، نزلت من السماء نار فأحرقتهما بين يدي موسى وهارون وسائر بني إسرائيل)(٣) (وقد كلم الله موسى من صوب العوسجة فأضاء له الوادي)(٤).

(وأرسل [أخزيا](٥) الملك الكافر خمسين رجلا ليأخذوا الياء/ النبي فنزلت ١/ ٣٥/ أ
نار من السماء فأحرقتهم ثم بعث آخرين فنزلت النار فأحرقتهم ثلاث مرات)(٦).

---

(١) تكوين ١٩/ ١ - ١١.
(٢) في ص (تتنابها) ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) لاويين ١٠/ ١ - ٣.
(٤) خروج ٣/ ٢ - ٤.
(٥) في ص (آحاب) والتصويب من النص.
(٦) الملوك الثاني ١/ ١ - ١٤.

(وألقى بختنصر ثلاثة من أقارب دانيال النبي في نار عظيمة[1] فلم تعد عليهم) (وطرح بختنصر دانيال إلى السباع فلم تهجه)[2].

وهؤلاء عبيد لله تعالى، فكيف نكص عنهم الشيطان وتمكن من ربهم على زعم النصارى حتى أغرى به شرذمة من أَخَسِّ جنده وهم اليهود فقتلوه وصلبوه؟! إذ كان المسيح عندهم هو الله أو متحدا به وساكنا فيه.

وأخبرونا كيف تتجسد الكلمة فتصير لحما ودما وعروقا وشعرا وظفرا؟!

أذلك شيء شاهدتموه عيانا فساغ لكم أن تخبروا به الناس وتدعوهم إلى اعتقاده والقول به، فادَّعوا ما بدا لكم، فمن الذي يمسخ الله عقله ويسلخ لبه فيجيبكم إلى دين اعتقاد أهله أن الله ولد علمهُ، وأن علمه صار إنسانا، وصار ذلك الإنسان إلها خالقا، وأن ذلك الإله قتله خلقه وصلبوه ونكلوا به؟!! فمتى تُساعدون على هذه الخرافات التي يأنف منها النوكى والمغفلون والعجائز المثكلون؟

وأخبرونا أليس المسيح عندكم / هو الكلمة، والكلمة هي المسيح؟ فإذا ١/ ٣٥ قالوا: نعم، قلنا: فنحن وأنتم نعلم أن المسيح كان يكون منه ما يكون من الآدميين، أفتصفون الكلمة بأنها كانت بائلة غائطة؟!

فإن قالوا: البائل الغائط هو الناسوت أبطلوا الاتحاد وأزروا على يوحنا الإنجيلي الذي زعم أن الكلمة صارت جسدا وحلت في الناسوت.

وكذَّبوا فولس الذي يسمونه رسولا في قوله: (إن المسيح ابتاعنا من لعنة الخطيئة بصلبه وقتله فصار لعنة بدلنا)[3].

---

(١) سفر دانيال إصحاح (٢).

(٢) سفر دانيال إصحاح (٦).

(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣/ ١٣.

وسفَّهوا إفريم في قوله: إن اليدين التي جبلت آدم هي التي سمرت بالمسامير وإن الشِّبر التي مسحت السماوات هي التي علقت بالصليب.

فإذا قالوا: إن الآكل الشارب البائل الغائط هو الناسوت فقد كفروا بإفريم وفولس الرسول وغيره من مشائخهم.

وقد نقل عن أكابرهم أنهم قالوا: من لم يقل إن مريم ولدت الله فهو محروم من ولاية الله(١).

وهم يقرؤون في صلواتهم (يا والدة الله افتحي لنا أبواب الرحمة، يا من سمرت يده على الصليب لا تضيع من خلقت بيدك).

وإذا كان هذا اعتقادهم فقد اعترفوا بأن الآكل الشارب المقتول المصلوب هو الله، تعالى عن كفرهم علوا كبيرا.

فإن قالوا: هذا لازم / لكم أيضا فإنكم موافقون على أن المسيح كلمة الله ١/٣٦/أ
وقد نطق به قرآنكم.

قلنا: لسنا سواء، فإنا نقول إن الله تعالى شرفه بتسمية سماه بها كما سمى إبراهيم خليلا، وسمى موسى كليما، وسمى إسرائيل ابنا بكرا بزعمكم، وسمى موسى رجل الله، وسمى عصاه قضيب الرب، وسمى قبة الزمان خباء الله، كل ذلك قد نطقت به كتبكم، والتسميات لا اختلاط لها بالذوات.

---

(١) قائل هذا القول هو: غريغورس، وهو من أكابر علمائهم، ويعتقدون أنه يتكلم بروح القدس (ر: النصيحة الإيمانية ص ١٩، للمهتدي نصر بن يحيى المتطبب) وهذا الاسم يطلق على أكثر من عالم لاهوتي عند النصارى، من أبرزهم: غريغورس العجائبي (٢١٣ - ٢٧٠ م) أسقف قيصرية، غريغورس المنور (ت ٣٣٢ م) أسقف أرمينيا، غريغورس النازينزي (ت ٣٨٩ م) بطريرك القسطنطينية، غريغورس النيصي (ت ٣٩٥ م) أسقف نيسا ومن أشهر معلمي التصوف المسيحي. كما أن هناك (١٦) بابا من باباوات الكنيسة يحملون هذا الاسم. (ر: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ٢/ ٢٧٢، المنجد في الأعلام ص ٥٠٥).

ألا ترون الشخص الواحد والعين[1] الواحدة تسمى باسمٍ عند قوم وتسمى باسم آخر عند آخرين، وإذا كان المسيح عندنا قد سماه الله (كلمة) لم يلزمنا ما لزمكم، فأما أنتم أيها الضلال فتقولون: إن كلمة الله انقلبت لحما ودما، فأكلت الخبز وشربت الماء وذلك هو الحَيْرة والعماء.

فإن رجعتم إلى الطريقة المثلى وأضربتم عن هذه المقالة الشوهاء، وقلتم: إن النقائص يستحيل دخولها على الله وعلى صفته، فقد تركتم القول بألوهية المسيح وأبطلتم الاتحاد وذلك هو المراد؛ ووافقتم المسلمين والأنبياء المتقدمين؛ قال الله تعالى حكاية عن المسيح ﴿**قال إني عبد الله**﴾[2]. وقال تعالى في
١/٣٦/ب المزامير (إن المسيح يشبه / ملكي صادق)[3] ملك عادل الذي كان ببيت المقدس، وقال الحواريون: إن يسوع يشبه موسى، وقال بعضهم: إن المسيح أفضل من موسى[4].

وقال في الإنجيل: أنا أفضل من يونس[5].

وقال المسيح: (أتيتم من آفاق الأرض لتسمعوا من حكمة سليمان، وهاهنا أفضل من سليمان)[6] يريد نفسه.

وقال في الإنجيل: (إلهي إلهي لم تركتني)[7] ؟!

---

(١) العين تقع بالاشتراك على أشياء مختلفة، والمراد هنا الشيء نفسه.

(٢) سورة مريم: ٣٠.

(٣) مزامير ١١٠/ ٤. وقد تقدم التعليق (ر: ص ٣٧٧) أن هذا النص وغيره من نصوص كتب أهل الكتاب مما لا ينبغي الجزم بنسبته إلى الله عز وجل وإنما تنسب إلى كتبهم.

(٤) رسالة بولس إلى العبرانيين ٣/ ١ - ٦.

(٥) متى ١٢/ ٤١، لوقا ١١/ ٣٢.

(٦) متى ١٢/ ٣٢، لوقا ١١/ ٣١.

(٧) متى ٢٧/ ٤٦، مرقس ١٥/ ٣٤.

وقال في خاتمة إنجيل يوحنا: (إني ذاهب إلى إلهي و إلهكم)[1].

فاعترف بأن له إلها وربا فقد ثبتت عبوديته ونبوته ورسالته.

٢- دليل آخر على نبوته عليه السلام: قال يوحنا التلميذ: (قال يسوع: أنا هو الراعي الصالح وأنا عارف برعيتي وهي تعرفني)[2].

وجه الدلالة من ذلك ما اشتملت عليه التوراة والكتب من رعاية إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى عليهم السلام تقدمت لهم مقدمات في رعاية النعم ثم أُهِّلُوا بعد لسياسة الأمم، فالنبي راع من الرعاة، وداع من الدعاة، يذودهم بالإنذار عن مراتع الهلاك ويريهم بأنوار الإيمان أشراك الإشراك، ولو كان الأمر على ما يهتف به النصارى من ربوبيته لم يقل في مجلس محشود ومحفل مشهود أنا الراعي الصالح، بل كان يرفع/ الالتباس ١/٣٧/أ ويقطع عن الناس الوسواس ويقول: اعلموا أني أنا الله خالق السماء والأرض وجامعكم ليوم العرض، أو أنا ابن الله أو ثالث ثلاثة أو أنا الكلمة القديمة اتحدت بجسم إنسان.

وحوشي[3] عليه السلام عن هذا الهذيان، بل الذي نص عليه ودعا تلاميذه إليه قوله في الإنجيل: (لا صالح إلا الله الواحد)[4]، وقوله: (إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد)، وقوله: (إني لا أعمل بمشيئتي بل بمشيئة من أرسلني)[5]. وسئل عن القيامة فقال: (لا يعرفها إلا الله وحده فأما أنا فلا أعرفها)[6].

---

(١) يوحنا ٢٠/ ١٧.

(٢) يوحنا ١٠/ ١٤.

(٣) في ص: حوشي.

(٤) مرقس ١٠/ ١٨، لوقا ١٨/ ١٨.

(٥) يوحنا ٦/ ٣٨.

(٦) مرقس ١٣/ ٣٢.

فقوله : (أنا هو الراعي) تكـذيب للنصارى في دعوى ربوبيته ؛ لأن الراعي ليس أليه ملك الغنم بل ملكها لغيره وليس له سوى الرعاية .

وقولـه : (وأنا عـارف برعيتي وهي تعـرفني) فيه دليـل على أن الخلائق ليسوا بمعمومين بـدعوتـه ، بل لم يبعث إلا إلى طائفة مـن بني آدم لا غير. وقد كشف هذا وأوضحه في مـوضع آخر (وهو أن أصحابه سألوه أن يقضي حـاجة امرأة من الكنعانيين فقال : لا يحسن أن يؤخـذ خبز البنين فيلقى للكلاب إني لم أرسل إلا إلى الذين ضلوا من آل إسرائيل)(١) .

فهذه نصوص الإنجيل الناجية من التبـديل ، وكلها دالة على نبوته ومفصحة برسالته / صلى الله عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين . ١/ ٣٧/ب

٣- معجزة دالة على نبوته : قال متى : (جـاء رجل أبرص إلى يسوع وسجد له وقال : يـا رب طهرني ، فقـال : طهرتك . فـزال برصـه لوقتـه ، فقال لـه يسوع : اذهب وقرب قربانا كما أوصى موسى)(٢) .

إن طعن اليهود في هـذه الآية وجحدوها ولم يـؤمنوا بها ، قلنا لهم : مـا الدليل على أن هـارون وبنيـه كـانـوا يـزيلـون البرص عـن الأبـرص (٣) وذلك شيء لم تشاهدوه؟

فإن قـالوا : نقل إلينـا بطريق التـواتر التي تـوجب العلم ويقتضي القطع ولا يبقى معها شك . قلنـا لهم : فكذلك تواتر واشتهـر وانتشر أن المسيح كان يفعل

---

(١) متى ١٥/ ٢١ - ٢٦ ، مرقس ٧/ ٢٤ - ٢٨ .
(٢) متى ٨/ ٢ - ٤ .
(٣) لاويين ١٣/ ١ ، ٢ .

ذلك، فإن حاولوا طعنا في آية المسيح انعكس عليهم في آية هارون وسائر الرسل، وإذا كانت هذه الآية لا سبيل إلى ردها وجحدها فقد لزم اليهود القول بنبوته وترك ما هم عليه من التهود[1].

وإن حاولوا إسناد ذلك إلى معرفته بالطب ووقوفه على خواص تزيل البرص بسرعة قيل لهم: فلعل موسى أيضا حين طهر أخته مريم من برصها[2] كان قد لطف في علم الطب ووقف على خواص فعل بها ما فعل دون أن يكون ذلك معجزة له، وحيث / بطل ذاك بطل هذا، وكان ما صدر منهما معجز من عند الله تعالى. ٣٨/أ

وإن قال النصارى: بذلك نستدل على ربوبيته إذ سجد له الأبرص وقال له: يا رب، فلم ينكر عليه، ولو كان ذلك غير جائز لأرشده وقوَّم أوده، فإقراره على ذلك وإزالة برصه دليل على ربوبيته.

---

(١) الهَودُ: الرجوع برفق ومنه التهويد وهو مشي كالدبيب، وصار الهود في التعارف التوبة، قال تعالى ﴿إنا هدنا إليك﴾ أي تبنا، قال بعضهم: يهود في الأصل من قولهم هدنا إليك. (ر: المفردات للراغب الأصفهاني ص ٥٤٦). وقيل: إنهم سموا بذلك لأنهم يتهودون، أي يتحركون عند قراءة التوراة. وقيل: إنهم سموا يهودا نسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام. وجاء في قاموس الكتاب ص ١٠٨٤ أن كلمة (يهود) أطلقت أولا على سبط أو مملكة يهوذا تمييزا لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا إسرائيل فصارت تشمل جميع من رجعوا من الأسر من الجنس العبراني ثم صارت تطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم. اهـ. وقال البيروني: إنه قد أبدلت الذال المعجمة دالا مهملة (يهوذا ـ يهو د)، لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها. اهـ.
وذكر أن الفرس قد أطلقوا على شعب يهوذا اسم اليهود وعلى عقيدتهم اليهودية، فلفظة يهود أعم من بني إسرائيل لأن كثيرا من أجناس العرب والروم وغيرهم دخلوا اليهودية وليسوا من بني إسرائيل. (ر: صبح الأعشى ١٣/ ٢٥٣، الخطط للمقريزي ٣/ ٥٠٣، قصة العقائد - سليمان مظهر ص ٣١٨، اليهودية - د. شلبي ص ٩٢، بنو إسرائيل في القرآن والسنة - د. طنطاوي ص ١٩، أثر أهل الكتاب - د. جميل المصري ص ٢٥).

(٢) سيأتي ذكر هذه القصة.

قلنا: ليس في ذلك دلالة على ما انتحلتموه، أما السجود[1] فهو كان سلام القوم وتحيتهم فيما بينهم، يعرف ذلك من طالع كتبهم وقرأ تواليف المتقدمين منهم.

والدليل على ذلك ما اشتملت عليه توراتهم من (سجود[2] إبراهيم ولوط للملائكة الذين مروا بهم لهلاك سدوم)[3]، (وسجود إبراهيم لقوم ساومهم في قطعة من الأرض لدفن زوجته سارة فسجد لهم مرتين حين فاتحهم فيها)[4].

والتوراة تشهد أيضا (أن إسرائيل حين دخل على يوسف بمصر سجد له هو وأولاده)[5]، وكذلك التوراة (تشهد أن إفرام ومنشا[6] سجدا ليعقوب جدهما

---

(١) ورد في قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٩ أن السجود يدل على تقديم الاحترام والإكرام والتحية المتواضعة (تكوين ٣٧/ ١٠، الملوك ١/ ٥٣، متى ٩/ ١٨) وهذا النوع من السجود لا يزيد عما يقدمه الناس لمن يكرمونه من الأمراء أو الحكام ولا يزيد على الانحناء أمامهم، ويوجد سجود آخر يفهم من القرينة أنه تقديم التعبد لله (تكوين ٢٤/ ٤٨ ويوحنا ٤/ ٢٤). اهـ.

(٢) تكوين ١٨/ ١، ٢، ١٩/ ١.

(٣) سدوم: أرض قوم لوط الذين أهلكهم الله، وهي إحدى مدن السهل الخمسة وتقع الآن تحت الماء في جنوب البحر الميت، وقد صارت خطيئة سدوم ومصيرها مضرب الأمثال كما أن خطيئة «السدومية» أو الشذوذ الجنسي أخذت اسمها من سدوم. (ر: قاموس ص٤٦٠، ٤٦١).

(٤) تكوين ٢٣/ ٢ -١٢ وفيه (.. فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبَنِي حِثَّ).

(٥) لم أجد في التوراة المحرفة أن يعقوب (إسرائيل) وأولاده سجدوا ليوسف حينما دخلوا عليه بمصر (ر: تكوين ٤٦/ ٢٨ - ٣١) ولكن ذكر فيها أن إخوة يوسف قد سجدوا له عندما جاءوا يطلبون الطعام منه أول مرة. (ر: تكوين ٤٣/ ٢٨).

وقد وصف القرآن الكريم دخول يعقوب وبنيه على يوسف بقول ﴿**فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين* ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا** . . . .﴾ سورة يوسف ٩٩ - ١٠٠ قال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٥٠٩: وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له. ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام، فحرم هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى. هذا مضمون قول قتادة وغيره.

(٦) منسى وإفرايم: اسمان عبريان معناهما (من ينسى) و (الأثمار المضاعفة) وهما ابنا يوسف عليه السلام، وقد ولدا بمصر. (ر: قاموس ص ٩٠، ٩٢٤).

بحضرة أبيهما يوسف فدعا لهما وبارك عليهما)[1]، ولم ينكر فعلهما.

وأما قوله (يا رب) فسيأتي الكلام عليه - إن شاء الله - في باب تأويل ظواهر الإنجيل ونبين / أنه لفظ يخاطب بها الأكابر والعظماء من الناس، ١/٣٨/ب وذلك مشهور في كل ملة.

فأما تطهير الأبرص فليس فيه دلالة على ربوبية عيسى عليه السلام وألوهيته، بل ينتهض ذلك دليلاً على تقريبه من ربه ومزيته، ولو جاز أن يتخذ المسيح بذلك ربا لجاز ذلك في حق اليسع عليه السلام؛ إذ قد روى النصارى واليهود في كتاب سفر الملوك من كتبهم (أن نعمان[2] الرومي برص فرحل إلى اليسع من بلده واستأذن عليه فلم يأذن له، بل قال لرجل من أصحابه: قل له ينغمس في الأردن سبع مرات. ففعل الرجل فبرأ من برصه لوقته ورجع إلى بلده معافى فاتبعه غلام لليسع يقال له حِجْزا[3] وأوهمه أن اليسع أرسله يطلب منه مالا ففرح نعمان بذلك وأعطاه مالا وجوهرا ثمينا فأخفاه الغلام وجاء إلى اليسع، فقال له اليسع: تبعت نعمان وأوهمته عني كذا وكذا وأخذت منه كذا وخبأته في موضع كذا، إذ فعلت ذلك فليصر برصه عليك وعلى نسلك. فبرص الغلام مكانه)[4].

فهذا نبي الله اليسع قد فعل ما هو أعجب من فعل المسيح / لأنه أبرأ نعمان ١/٣٩/أ وبرَّص الغلام ونطق بالغيب، وقد أشار الإنجيل إلى طرف من القصة.

---

(١) تكوين ٤٨/٨ - ٢١.

(٢) نعمان الرومي: رئيس جيش بنهدد ملك الآراميين في أواسط سورية (ر: قاموس ص ٩٧٣).

(٣) حيجزى: اسم عبري معناه «وادي الرؤية»، غلام النبي اليسع ورفيقه (ر: ، ، ص ٢٧٩)

(٤) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الخامس.

فأما التوراة فهي تنطق (أن مريم ابنة عمران[1] أخت موسى وهارون تَغَرَّبت على موسى في أمر من الأمور فلما صعدوا إلى قبة الزمان[2] وكلمهم الله سبحانه تهدد مريم جدا وغضب عليها، فلما خرجت من القبة نظر إليها هارون أخوها فإذا هي قد ضربت بالبرص من قرنها إلى قدمها، فرق لها هارون وسأل موسى أن يدعو الله لها فدعا لها فشفيت)[3].

وهذه الأنبياء قد فعلت ما هو مثل فعل المسيح وأعجب منه.

فإن قال النصارى: إن موسى واليسع وغيره كانوا يفعلون ذلك ولكن بعد ابتهال إلى الله ودعاء وطلب ورغبة، فأما المسيح فإنه كان يخترع ذلك اختراعا من نفسه من غير دعاء ونداء.

قلنا لهم: من سلم لكم أن المسيح كان يفعل ما يفعل غير مبتهل إلى الله ولا طالب إليه، والدعاء لايشترط لإجابته الإعلان، فإن الداعي يناجي بحوائجه من استوى عنده السر والجهر، ومن أين لكم أن المسيح كان لا يدعو ربه / ١/٣٩/ب سرا؟! على أنا نريكم عدة مواضع من الإنجيل الذي بأيديكم يشهد أنه كان لا يفعل معجزا إلا بعد أن يسأل الله ويضرع إليه ويُعَوِّل في نُجْح مطالبه ومآربه عليه، قال في الإنجيل (عندما أحيا حبيبه العازر ورفع بصره إلى جهة السماء: يا

---

(١) مريم ابنة عمران - أخت موسى وهارون -: يذكر عنها قاموس الكتاب ص ٨٥٦ أن اسمها عبري معناه (عصيان)، ويظن أنها أكبر من موسى نحو عشر سنين، وقد ماتت ودفنت في قادش (وهي على مسافة (٥٠ ميلا) من بئر سبع إلى الجنوب) اهـ. وكانت في نظر اليهود والنصارى نبية من الأنبياء (ر: سفر الخروج ١٥/ ٢٠).

(٢) ر: سفر العدد الإصحاح (١٢).

(٣) قبة الزمان هي ما يسمى في التوراة بـ (خيمة الاجتماع) وأطلق عليها اسم علم (بيت الرب) وتسمى أيضا بـ (المسكن) و(مسكن الشهادة) وقد أمر الله موسى عليه السلام ببنائها في البرية وتنقسم إلى ثلاثة أجزاء: المسكن، والخيمة، والغطاء. (ر: سفر الخروج: إصحاح (٣٠) - (٣٥)) وقد كانت مركز عبادة بني إسرائيل وتقديم قرابينهم (ر: قاموس ص ٣٥٢ - ٣٥٤).

[أبت][1] أشكرك لتستجيب لي وأنا أعلم أنك تستجيب لي في كل حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء الفئام ليعلموا أنك أرسلتني [2]). فهاهو قد أكذب النصارى في دعواهم أنه كان يخترع من تلقاء نفسه من غير دعاء و ابتهال

وقال فيما حكاه النصارى عنه (إلهي إن كان يحسن صرف هذا الكأس فاصرفها عني كما تشاء أنت لا كما أشاء أنا)[3].

وقال النصارى عنه أنه قال: (إلهي إلهي لم تركتني؟)[4].

وهذا شيء لم نسمعه إلا منهم فقد وضح كذب مورد السؤال.

فأما موسى عليه السلام فالتوارة تشهد بأنه كان يلقي عصاه فتصير ثعبانا ثم يأخذها فتعود خشبة[5] ثم يلقيها فتعود شجرة وتمد أغصانا وتثمر لوزا ثم[6] يتناولها فتعود عصا ثم يضرب بها النيل فينقلب دما ثم يضربه / فيرجع ماء[7] كل ذلك من غير سؤال ولا استغاثة. ١/ ٤٠/أ

وقد أحيت تربة قبر اليسع ميتا[8]، وأبرأ يوسف عيني أبيه من غير سؤال ولا

---

(١) في الأصل: يأبه، والتصويب من النص.

(٢) يوحنا ١١/ ٤١ - ٤٣ بألفاظ متقاربة، وقد ورد في الأناجيل ذكر معجزة إحياء المسيح عليه السلام للموتى ثلاث مرات هي:
الأولى: إحياء ابنة يَايِرُس - رئيس المجمع - ورد ذلك في إنجيل متى ٩/ ١٨ - ٣٩، وإنجيل مرقس ٥/ ٢١ -٤٣، ولوقا ٨/ ٤٠ - ٥٦.
الثانية: إحياء ابن الأرملة - انفرد بذكرها لوقا ٧/ ١١ - ١٧
الثالثة: إقامة العازر - انفرد بذكرها يوحنا.

(٣) متى ٢٦/ ٣٩ بألفاظ متقاربة.

(٤) متى ٢٧ / ٤٦.

(٥) ر: سفر الخروج الإصحاح السابع.

(٦) إن ما ورد في التوراة سفر العدد ١٧/ ٨ - ١٠ يفيد أن عصا هارون هي التي أصبحت شجرة وأزهرت وأنتجت لوزا وليست عصا موسى كما ذكره المؤلف.

(٧) ر: سفر الخروج الإصحاح السابع.

(٨) سفر الملوك الثاني ١٣/ ٢٠، ٢١.

دعاء[1]، وأحرق إيلياء ثلاثة عساكر بنار نزلت من السماء[2] ولم يتقدم منه دعاء ولا طلب فعل ذلك عدة من الأنبياء، فأما المسيح فقد بينا أنه كان في غالب أمره يدعو ويضرع كما قدمناه، ولم ينقل أن واحدا ممن سَمَّيْنَا ضُرب ولا غُلب، فأما المسيح فالنصارى تزعم أنه قتل وصلب.

والعجب منا ومنهم فإنا نعتقد نبوته وسلامته وهم يعتقدون ربوبيته وعطبه، لقد تباعد ما بيننا وبينهم.

٤- معجز دال على نبوته: قال متى: (جاء رئيس من الرؤساء إلى يسوع فقال: إن ابنتي قد ماتت فلعل تأتي إلينا فتضع يدك عليها، فمضى معه ووضع يده عليها، فعاشت ابنة الرجل)[3]..

فإن أنكر اليهود ذلك مع تواتره وأكذبوا التواتر انعكس عليهم في نبوة أنبيائهم وإن زعموا أنه فعل ذلك تخييلا، قيل لهم: ولعل قلب العصا حيوانا يسعى كان أيضا تخييلا / وشعبذة[4] ودكا، فقد لزمهم القول بنبوة المسيح ١/٤٠/ب بالطريق التي لزمهم القول بنبوة موسى وغيره، ولو تطرق التشكيك إلى نبوة المسيح مع ظهورها لم يثبت نبوة نبي ولا استقرت رسالة رسول.

---

(١) قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين* ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون* قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم* فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ سورة يوسف: (٩٣ - ٩٦).

(٢) سفر الملوك الثاني إصحاح (١).

(٣) متى ٩/ ١٨ - ٢٦.

(٤) شعوذ الرجل شعوذة ومنهم من يقول (شعبذ شعبذة) وليس من كلام أهل البادية، وهي لعب يرى الإنسان منه ما ليس له حقيقة كالسحر (ر: المصباح ص ٣١٤).

وإن قال النصارى: ذلك دليل على ربوبيته إذ لا قادر على إحياء الموتى سوى الله تعالى، قال الله ﴿**والموتى يبعثهم الله** . .﴾[1].

قلنا: فيلزم على ذلك أن تعتقدوا ربوبية كل من أحيا ميتا وتتخذوه ربا، وقد قال عندكم في كتاب سفر الملوك أن إلياس أحيا ابن الأرملة[2]، وأن اليسع أحيا ابن الإسرائيلية[3] وأن حزقيال أحيا بشرا كثيرا يقال إنهم ستون ألفا أحياهم في ساعة واحدة[4]، وهذا أعجب من إحياء المسيح نفسين أو ثلاثة.

والتوراة تشهد أن موسى كان يقلب عصاه ثعبانا، فبينما هي خشبة إذ عادت حيوانا ذا عينين يأكل ما مر عليه[5]، وقلب الخشب حيوانا أبدع من إعادة الروح إلى ميت.

٥- معجز دال على نبوة المسيح: قال متى: (حضر إلى يسوع أعميان فقالا: ارحمنا يا ابن داود، فقال: أتؤمنان؟ قالا: نعم. فلمس أعينهما
/٤١/أ وقال: / كإيمانكما يكون لكما. فانفتحت أعينهما، فقال: لا تقولا لأحد شيئا)[6].

فإن أنكر اليهود هذه الآية وطرقوا إليها المطاعن، قيل لهم: بأي طريق ثبت لكم (أن موسى عليه السلام شكا إليه [بنو][7] إسرائيل الحيات التي لدغتهم في

---

(١) سورة الأنعام: ٣٦.

(٢) الملوك الأول ١٧/ ١٧ - ٢٤.

(٣) الملوك الثاني ٤/ ١٨ - ٣٧.

(٤) حزقيال ٣٧/ ١ - ١٠.

(٥) الخروج ٧/ ١٠ - ١٣.

(٦) متى ٩/ ٢٧ - ٣٠ بألفاظ متقاربة.

(٧) في ص (بنوا) والصواب ما أثبته.

التيه فاتخذ لهم حية من نحاس ونصبها على خشبة وقال: من لدغته أفعى فلينظر إلى تلك، ففعلوا وصحوا)[1].

فإذا قالوا: التواتر والنقل المستفيض يشهد به. قيل لهم: فاقنعوا منا بهذا الجواب.

وإن قال النصارى: ذلك دليل على ربوبية المسيح، قلنا لهم: لو جاز ادعاء ربوبيته بذلك لجاز لآل يوسف أن يدَّعوا ربوبيته بمثله؛ إذ التوراة تشهد أنه أبرأ عيني والده يعقوب بعد ذهابهما، ولما لم يجز التمسك بذلك في الربوبية لم يجز هذا، والمسيح أمر بستر ذلك، ويوسف لم يأمر به، فيدل على أنه أقوى حالا وأعظم تمكينا من غيره.

ومعلوم عندكم (أن موسى قد ضرب بعصاه كثيب رمل فانهال قملا لكل واحدة عينان تبصر بهما)[2]، وهذا أعجب من فعل المسيح لأن فيه خلق الحيوان كله، وذلك رد الصحة إلى جارحة من جوارحه بعد ذهابها.

١/٤١/ب وقد / شهد متى صاحب المسيح أن المسيح لا يعلم المغيبات (إذ يقول للرجلين: أتؤمنان؟ فقالا: نعم)، وأنه لم يعلم بإيمانهم بعد قولهما حتى علق الشفاء على إيمانهما، (فقال: مثل إيمانكما يكون لكما) فضاهى ذلك قوله (وقد

---

(١) العدد ٢١/ ٦ - ٩، وقد آل أمر هذه الحية النحاسية في بني إسرائيل في السنين التالية أنهم عظموها وغلوا في أمرها حتى عبدوها وأصبحت صنما إلى أن حطمها حزقيا (ر: سفر الملوك الثاني إصحاح (١٨) وقد كان التطرف والانحراف عن الشريعة الإلهية عادة في بني إسرائيل ثم أصبحت هذه الحية شعارا ورمزا لليهود ولجمعياتهم السرية الصهيونية كالماسونية وغيرها. كما أنهم يشبهون أحلامهم في السيطرة على العالم بالأفعى التي تلتف حول الكرة الأرضية فيلتقي رأس الحية بذنبها في فلسطين المحتلة.

(٢) الخروج ٨/ ١٦، ١٧، والقُمَّل: صغار الذباب، قال تعالى: ﴿**والقمل والضفادع والدم**﴾ والقمل معروف (ر: المفردات للأصفهاني ص ٤١٣).

سئل عن يوم القيامة فقال: لا أعلمها، بل الله وحده هو الذي يعلم ساعتها ووقتها).

وبذلك نرد على من زعم أنه من جوهر الأب، حيث قالوا في الأمانة (المسيح إله حق من إله حق من جوهر أبيه) وهذه الفصول من الإنجيل تكذب تلك الأمانة وتُخطِّئ من ألفها إذ لو كان من جوهر الأب لكان علمه من جوهر علمه، ومشيئته من جوهر مشيئته، وسائر صفاته من صفاته، ولم يكن جسما ذا شعر وبشر، بل المسيح من جوهر أبيه داود وإبراهيم فهو إنسان حق من إنسان حق من جوهر أبيه، والعجب أن المسيح عليه السلام رضي من الرجلين أن نسباه إلى داود وقضى حاجتهما ولم ترضَ النصارى له بما رضيه لنفسه حتى نسبوه نسبة خالفوه فيها وأسخطوا الله وأضحكوا منهم سائر / طوائف بني آدم، على أن قول الرجلين له (يا ابن داود) لو كان خطأ منهما، لم يقرهما المسيح على الخطأ، ولاسيما خطأ هو كفر![1]. ١/٤٢/أ

وكيف يسمعهما ينطقان بالكفر وهو إنما جاء ليخلص الناس منه؟! بل قد سمع ذلك منهما فأقرهما عليه وشفاهما، وذلك رضا منه بما نسباه إليه من نبوة داود، وكيف لا يرضى بذلك منهما وهي النسبة الجليلة التي نسبه بها جبريل الملك حين بشر به مريم بالناصرة كما شهد به لوقا في إنجيله (إذ يقول لها: إنك تقبلين حبلا بولد اسمه يسوع يجلسه الرب على كرسي أبيه داود)[2] فالويل للنصارى، لم يرضوا له النسبة التي نسبه بها الحواريون، وارتضاها المسيح من أهل زمانه، وجاء بها جبريل من عند الله.

---

(١) يعني أن قول الرجلين للمسيح عليه السلام (يا ابن داود) كفر على مقتضى اعتقاد النصارى بأنه ابن الله، فكيف يقرهما المسيح عليه السلام على ذلك ولا ينكر عليهما؟! وهذا من باب إلزام النصارى الحجة ببشرية المسيح وعبوديته.

(٢) لوقا ١/ ٣٠ - ٣٢.

فمن عـذيري[1] من قـوم لبسوا عقـولهم مقلوبة يتنكبـون السبيل ويـرتكبون خلاف ما في الإنجيل؟!

نكتـة: قال متى: (سمع يـوحنـا وهو في السجن بأعمال المسيح فأرسل إليـه اثنين من تلاميذه وقـال: قولوا له أأنت الآتي أو يرجى آخر؟ فقـال يسوع: اذهبا وأخبرا يـوحنـا بما رأيتما وسمعتما العمي يبصرون والعـرج يمشـون، والبرص ١/٤٢/ب يطهـرون / والصم يسمعـون، والموتى يقـومـون، فطـوبى لمن لم يشك في، فلما ذهب التلميذان قال يسوع: هذا الذي كنت من أجله، هو ذا أنا مرسل ملاكي قدام وجهك ليستهـل طريقك، الحق أقول لكـم، إنه لم تلد النسـاء أفضل من يـوحنا، والصغير في ملكـوت الله أفضل منـه، بماذا اشبـه هذا الجيل الشريـر؟ أشبهه بصبيان يصيحـون بإخوانهم قائلين: زمرنا لكم فلم تـرقصوا، ونحنا لكم فلم تبكـوا، جـاء يـوحنا لا يـأكل ولا يشرب، فقـالوا: بـه شيطـان، جـاء ابن الإنسـان يأكل ويشرب، فقـالـوا: إنسـان أكـول شريب خمر خليل العشـارين والخطاة، فتبررت الحكمة في بنيها)[2].

قلت: كيف يعتقد في المسيـح الربوبيـة وهذا نبي اللـه يحيى بن زكريـا يرسل إليـه (أأنت الآتي أو يرجى آخـر؟) فإن كـان هذا الشك من يـوحنا لا يقـدح في إيمانه ونبوته فالمسيح ليس بإله لأن الشك في الإله كفر.

وإن كان المسيح إلها كما يهذي بـه النصارى فقد كفَّروا يوحنا هـذا. أفتدعي النصارى - ويلهم - أن يحيى بن زكريـا كان جاهلا بـربه مع قول المسيح: (إن ١/٤٣/أ النساء لم تلـد أفضل منه)؟ فشهادة المسيح/ ليـوحنا بأنه أفضل أهل زمـانه دليل

(١) أي من يلـومـه على فعله وينحي بـالـلائمـة عليه في بيـان فضـائح النصارى وسخـافـاتهم وضعف عقولهم؟! (ر: المصباح المنير ص ٣٩٩).

(٢) متى ١١/ ٢ - ١٩ بألفاظ متقاربة وقد اختصر المؤلف بعض النصوص.

على غلط النصارى في دعوى ربوبية المسيح، إذ لو كان كما قالوا لكان الأولى باعتقاد ذلك يوحنا ، وإنما أرسل يوحنا يسأل عن النبوة والرسالة ، فلما أحاله على رؤية الخوارق والتي هي أعلام النبوة زال تردده في نبوته .

وأما قول المسيح : (والصغير في ملكوت الله أفضل منه) فيعني بالصغير نفسه جريا على عادته في سلوك التواضع ، وفي ذلك دلالة على نبوته من قوله ، لأن الأفضلية لا تثبت إلا بين فاضلين اشتركا في أصل الفضل ثم ترجح أحدهما على الآخر بمزيد من الفضل ، ولا يحسن أن يقال إن الباري جل وعلا أفضل من زيد أو عمرو.

مناقشة : قلب النصارى الحكمةَ وأبدلوها وحرفوا كتب الله وبدلوها ، وصفوا يوحنا بصفة الأرباب في استغنائه عن الطعام والشراب ، فقالوا : (كان يوحنا لا يأكل ولا يشرب) واعتقدوا في المسيح الربوبية مع وصفهم له بنقص العبودية . فقالوا : (كان المسيح إنسانا أكولا شريب خمر)[1] ، فسخر / منهم ذوو الألباب وآضوا[2] سُبَّةً على ممر الأحقاب . ١/٤٣/ب

مناقشة : زعم النصارى أن المسيح كان يتردد إلى أورشليم للاستفادة والتعليم ويسائل الأحبار عن الأخبار[3] ثم اعتقدوا أنه الذي أنزل التوراة على الكليم وفدى الذبيح من يد إبراهيم ، فيقال لهم : يا ممسوحي الحلوم ومسلوخي الفهوم ، كيف يتعلم كتابا هو الذي أنزله أو يتلمذ لرسول هو الذي أرسله؟!

٦- معجزة دالة على نبوته عليه السلام : قال متى : (حضر إلى يسوع رجل يابس اليد ، وذلك بحضرة جماعة من اليهود ، فسألوه : هل يحل أن تداوي في

(١) متى ١١/ ١٨، ١٩ .
(٢) أي : صاروا، آض كذا : صار وفعل ذلك (ر: القاموس ص ٨٢١).
(٣) لوقا ٢/ ٤١ -٥٠ .

السبت؟! لكي [يَنُمُّوا][1] عليه، فقال لهم يسوع: أي رجل منكم يسقط خروفه في بئر في يوم السبت فلا يقيمه؟!، فالإنسان أولى من الخروف، ثم قال للرجل: امدد يدك، فمدها فصحت وعادت كالأخرى، فخرج اليهود متآمرون في إهلاكه، فعلم يسوع سرهم، وانتقل من هناك فتبعه مرضى فشفاهم)[2].

قلت: هربه وتواريه غير قادح في نبوته ولا غاض من رسالته، فذلك كثير ما
١/٤٤/أ اتفق لأنبياء الله وصفوته / غير أنه لا يليق بجلال الربوبية، وهو يقدح في قول النصارى إن المسيح إنما نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولدته مريم وحل في هذا العالم لخلاص آدم وذريته من الجحيم ببذل دمه حتي يكون مؤديا ما وجب على آدم بأكله الشجرة، فلو كان الأمر على ما يهذون به لما فر من ذلك وتوارى وتَحَوَّل من بلدة إلى بلدة أخرى من أمر إنما جاء وتَعَنَّى بسببه، إذ في تأخير قتله استدامة آدم وذريته في العذاب.

فإن قال النصارى: إنما تحوَّل واختفى لأن ساعة أجله لم تحضر بعد قلنا: فكان الأولى أن لا يتحول إذاً، إذ كان لبثه لا يجر إليه مكروها ولا يسلط عليه سفيها، وما أحسن[3] إلها له ساعة ترتقب وأجل ينقرض وينقضب.

٧- مضاهاة كلام المسيح لكلام الرسل عليهم السلام: قال متى: (أتي يسوع بأعمى به شيطان أخرس فأبرأه، فعظم الجمع ذلك، فقال الفريسيون: إنما يخرج الشياطين ببعل زبول رئيس الشياطين، فعلم يسوع سرهم فقال: لا
١/٤٤/ب يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي وينهب متاعه / إلا أن يربط القوي أولا ثم يأخذ متاعه، من ليس معي فهو علي، ومن لا يجمع معي فهو يفرق، إن كل

(١) في ص (ينمو) والصواب ما أثبته.
(٢) متى ١٢/ ١٠ - ١٥ بألفاظ متقاربة.
(٣) أسلوب التهكم والسخرية من معبود النصارى.

تجديف يترك للناس، والتجديف على روح القدس لا يترك في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي)[1].

قوله: (كل تجديف يترك للناس والتجديف على روح القدس لا يترك) مواطئ لقول سيدنا رسول الله ﷺ: «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[2]. غير أن بين الكلامين في المقدار ما بين الدرهم والدينار.

٨- دليل على نبوته من قوله: قال متى: (قال له قوم من الكتبة: يا معلم نريد أن ترينا آية، فقال: الجيل الشرير الفاسق يطلب آية فلا يعطى إلا آية يونان النبي؛ لأن يونان أقام في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، كذلك ابن الانسان يكون في قلب الأرض وبطنها ثلاثة أيام وثلاث ليال، رجال نينوى يقومون في يوم الحكم ويحاكمون هذا الجيل لأنهم تابوا بدعوة يونان وهاهنا أفضل من يونان)[3].

قلت: هو ذا المسيح قد صرح بنبوته في عدة / مواضع من هذا الكلام ١/٤٥/أ -أحدها: تقرير الكتبة على قولهم له: يا معلم، ولم ينكر عليهم ويقول: كذبتم بل أنا ربكم أو ابن إلهكم، كما لفق النصارى في أمانتهم التي بأيديهم.

---

(١) متى ١٢/ ٢٢ - ٣٢.

(٢) حديث متواتر أخرجه البخاري عن علي والزبير بن العوام وأنس بن مالك وسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم. (ر: فتح الباري ١/ ٢٠٠ - ٢٠٣)، ومسلم ١/ ٩، ١٠ - ٤/ ٢٢٩٨ عن أبي سعيد وغيره، وأخرجه أبو داود ٣/ ٣١٩، والترمذي ٤/ ٤٥٤، وابن ماجه (ر: صحيح ابن ماجه ١/ ١١ - ١٣) وغيرهم.
واللفظ الذي أورده المؤلف أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب (٣٣) (ر: فتح ٣/ ١٦٠)، ومسلم ١/ ١٠ وأحمد ٤/ ٢٤٥ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٣) متى ١٢/ ٣٩، ٤٠.

وكيف يجوز إقرارهم على الخطأ في ذات الله، بل إنما أقرهم على الصواب، إذ قال لهم في الإنجيل غير مرة (إن الأنبياء كلهم [معلمون][1]).

-و الثاني: تسويته بين نفسه وبين يونان النبي في جريان المقدور، ويونان[2] هو يونس بن متى[3] عليه السلام، ومحاكمة أمة يونس لأمته يوم القيامة.

- والثالث: تفضيله نفسه على يونان، وقد قلنا: إن التفضيل إنما يكون بين فاضلين رجح أحدهما على الآخر، ولا يحسن بين الملك والأتوني[4]، فكيف يحسن بين الله وعبد من عبيده، قال تعالى ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**﴾[5]. ولا غرو أن يفضُل المسيح يونس كما فضُل محمد سائر الرسل على ما نوضحه إن شاء الله في الباب العاشر من هذا الكتاب.

فأما قوله (إن ابن الإنسان يكون في قلب الأرض وبطنها ثلاثة أيام وثلاث ليال) إن سلم عن الاختلاق فذلك محمول على الشبه / الذي قتله اليهود ١/ ٤٥/ب وصلبوه فإنه ابن الإنسان، فأما المسيح فهو عندكم معشر النصارى ابن الله، وإلا فما بالكم في صلواتكم وبيعكم لا تدعون المسيح ابن الإنسان، فتقولون في أدعيتكم وقراءتكم: يا ابن الانسان اغفر لنا، يا ابن الإنسان ارحمنا. هذا شيء لا تقولون به ولا تستجيزون إطلاقه، فكيف صرتم إذا لدغتكم حجاج

---

(١) في ص (معلمين) والصواب ما أثبت.

(٢) يونان: الصيغة السريانية للاسم العبري (يونه) ومعناه حمامة، وهو ابن متاي من سبط زبولون، وقد تنبأ في أيام يربعام الثاني ملك السامرة، وينسب إليه (سفر يونان) مكون من أربعة إصحاحات (ر: سفر يونان، قاموس ص ١١٢٦ - ١١٢٨).

(٣) يونس بن متى عليه السلام: وردت نسبته إلى أبيه في حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى»، «ونسبه إلى أبيه» أخرجه البخاري (ر: فتح ٦/ ٤٥٠)، ومسلم ٤/ ١٨٤٦.

(٤) الأتان: الأنثى من الحمير، والأتون وزان رسول، قال الأزهري: هو للحمام والجصاصة. وجمعه أتاتين (ر: المصباح ص ٣).

(٥) سورة الإسراء: ٥٥.

الحق تستروحـون إلى مـا لا تقولـون بـه؟! هل ذلك إلا حيرة وضـلال وغلـو في عبـادة الـرجـال؟! على أنـا نـريكم من الإنجيـل مـا يسيء ظنكم بهذا الفصل وينفركم من القول بصحته وذلك أن الإنجيل الذي بأيديكم يشهد أن المصلوب لم يمكث في بطن الأرض وقلبهـا سـوى يوم واحـد وليلتين لا غير، لأن الإنجيل يشهـد (أن يوسف الـرامي[1] استـوهب الجسد من فيـلاطس[2] القائد عَشيـة الجمعة ودفنـه في قبر كان قد اتخذه له ليلـة السبت، وبقي يوم السبت مدفـونا، وطلب بكرة يوم الأحد غلسا فلم يوجـد سوى الأكفان في القبر موضوعه بشهادة مريم المجدلانية[3] خادمة المسيح وغيرها)[4].

فلم يلبث سوى يوم / وليلتين، فقـد اختلف قولكم أنه يقيم في قلب الأرض ١/٤٦/١أ
وبطنها ما أقام يونان في بطن الحوت وهو ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ[5].

فأي وثـوق بقي يحصل لعاقل بكم؟ وأي طمأنينـة تتفق بنقلكم؟ وأية حجـة

---

(١) يوسف الـرامي: من الرامة وكـان صالحا غنيا، ولقد كـانت الشريعة اليهوديـة تقضي بألا تبيت جثة المحكوم عليه بـالإعدام على آلة التعذيـب، والقانون الرومـاني يجيز لذوي المحكوم عليـه بالإعدام أن يطالبوا بجسده ويأخـذوه وهذا مما حفز يوسف على طلبه جسـد المسيح من القائد بيلاطس. (ر: قاموس الكتاب ص ١١١٩).

(٢) بيلاطس النبطي: الحاكم على فلسطين من قبل الحكـومة الرومانيـة سنة ٢٩ م وكانت قيصرية مـركز ولايته، وقد أقيل من وظيفته لقسوته ونفي إلى فرنسا ومات هناك، ويعتقد النصارى بأنه تمت على يده محاكمة المسيح. (المرجع السابق، ص ٢٠٧، ٢٠٨).

(٣) مـريم المجدليـة: وكان المسيح قـد أخرج منهـا سبعة شيـاطين، فلذلك اتبعتـه، وكانت معـه وقت الصلب والدفن - على حـد زعمهم - وقد شرفها المسيح بحديثـه معها بعد قيامتـه. (المرجع السابق ص ٢٠٧).

(٤) إنجيل مرقس إصحاح ١٥، ١٦.

(٥) سيأتي بيـان المزيـد من التناقض في قضيـة دفن المسيح ومكثـه في القبر - حسب زعم النصـارى - في الباب الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله.

لكم على تصحيح مـذهبكم في القتل والصلب بعـد صـدور هـذا الكـذب الشنيع؟!

فإذا كان هـذا تحريفكم في أمر يتعلق بالعـدد مما لا تعظم فيه المؤنـة ولم تشتد الكلفـة، فكيف يـوثق بكم فيما وراءه؟! ونحن إذا انتهينـا معكم إلى ذكـر القتل والصلب أرينـاكم غلطكم في دعـوى قتل المسيح وصلبـه وأبـدينـا لكم من الأناجيل التي بأيـديكم ما يـدل على خلاف ما صرتم إليـه وأرشدنـاكم إلى وجه الاستنباط منه؛ رجاء الأجر فيكم والمثوبـة في هداية بعضكم، وتبصرة وإيضاحا لإخواننـا المسلمين، وتعريفا لهم مصـداق قول ربنـا جل اسمه ﴿**وما قتلـوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**﴾[1].

٩- معجزة دالـة على نبوة المسيح عليه السلام: قـال متى: (حضر إلى يسوع جمع كثير وليس عنـده إلا / خمس خبـزات [وحوتـان][2] فـرفع بصره إلى السماء ودعا وبارك على الطعام فأكل الجمع وشبعوا وفضلت كسر كثيرة)[3]. ١/٤٦/ب

إن قدح اليهـود في هذه الآية وزعموا أنها قُيـدت في الإنجيل هي وأخواتها من غير أن يكون لها صحة، فيقال لهم: فما يؤمنكم أن يكون أيضا قد قيل في كتاب التوراة التي بأيديكم ما ليس له صحـة ولا تحقيق؟ فإن زعموا أن أسلافهم الذين نقلوا إليهم خوارق التوراة انتهـوا في الثقة والديانة والصدق والأمـانة إلى حد أمنوا معـه هذه الغـائلة، أجيبـوا بمثل ذلك، وقيل لهم: النـاقلون لمعجـزات المسيح أيضا انتهوا من الدين والتقى[4] والعفاف إلى غاية انتفت عنهم أسباب التهم.

---

(١) سورة النساء: ١٥٧.

(٢) في ص (حوتين) والصواب ما أثبته.

(٣) متى ١٤/ ١٣ - ٢١.

وإن قال النصارى: هذه الآية تدل على ربوبية المسيح، قلنا: كيف ذلك وهاهو قد رفع وجهه إلى السماء وحرك أخلاف الإجابة بأنامل الدعاء، وهذا هو دأب الأنبياء وسنة الأولياء إذا دُفِعوا لبثِّ الحق وإرشاد الخلق رغبوا إلى معبودهم وطلبوا إليه ما يحقق قصدهم ويعرف أممهم / صدقهم والخلائق عيال الله، ١/٤٧/أ والنبي نائب عنه في إيصال رزقه إلى خلقه، وبالجملة فلو جاز أن يعتقد في المسيح الربوبية بمثل هذه الدعوى لجاز أن يعتقد في موسى (بإطعام قومه المن والسلوى وهم يزيدون على ستمائة ألف نفس سوى النساء والصبيان، فأما المن فكان يسقط على الأرض الليل كله كصفائح الجليد أبيض كحب الكزبرة وطعمه كشهد العسل، وأما السلوى فطائر السمان كان يتراكم على الأرض في عسكر بني إسرائيل حتى ملأ الرحاب)[1]، وهذا أعجب من فعل المسيح في الحوتين والخمسة الأرغفة؛ إذ آية المسيح تكثير خبز موجود، وآية موسى إيصال خير مفقود، وقد اشتملت التوراة على عدة من الخوارق لم يأت المسيح بنظيرها فنسمح بشطرها.

١٠- بعد ذوي اليسار[2] عن مقام الأبرار: قال متى (قال رجل ليسوع: يا معلم ما أعمل من الصلاح لأرث الحياة الدائمة؟ فقال: احفظ الوصايا، قال وما هي؟ قال: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور/ أكرم أباك ١/٤٧/ب وأمك، وأحبب قريبك مثلك، فقال الرجل: كل هذا قد عرفته منذ صباي، فما الذي بقي علي؟ فقال المسيح: إن كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب وبع كل شيء لك وأعطه للمساكين ليكون لك كنزا في السماء وتعال اتبعني. فلما

((١) سفر العدد إصحاح (١١)، وكذلك فعل غيره من أنبياء بني إسرائيل في إطعام الخلق الكثير من الشيء اليسير كـ إليا واليسع، حيث ذكر ذلك في سفر الملوك إصحاح (١٧) والملوك الثاني إصحاح(٤).

(٢) الغنى واليسر.

سمع الرجل هذا الكلام مضى حزينا؛ لأن ماله كان كثيرا، فقال المسيح: الحق أقول لكم، إن دخول الجمل في سم الخياط أيسر من دخول الغني ملكوت الله، فقال التلاميذ: من يقدر على هذا؟! فقال لهم: أما عند الناس فما يستطاع هذا، وأما عند الله فكل مستطاع، الأنبياء إنما بعثوا بالزهد في الدنيا والتفرغ للمولى والتزود للعقبى)[1].

وهذا الكلام من المسيح دال على نبوته ورسالته وفيه ما يهدم قاعدة من قواعد النصارى وهو جعله حفظ وصايا الله المذكورة في هذا الفصل سبب الخلاص وإرث الحياة الدائمة من غير حاجة إلى قتل المسيح وصلبه. وعند النصارى أن الناس لا يخلصهم من الخطيئة إلا قتل المسيح وسفك دمه إذ يقولون في الأمانة/ ١/٤٨/أ
(من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل المسيح من السماء وتجسد وولد وقتل وصلب). وهو ذا المسيح يكذب تلك الأمانة ويزري على من ألَّفها إذ جعل الخلاص منوطا بحفظ وصايا الله واتباع أمره، ولم يوقف الخلاص على ما هذوا به في الأمانة التي هي في الحقيقة خيانة، والشريعة التي هي لإضاعة الشريعة ذريعة، فهلاَّ قال المسيح للرجل: لا ترث الحياة الدائمة حتي تعتقد ربوبيتي وتدين بألوهيتي وتعتقد أني إله حق من إله حق من جوهر الله، وتعترف بأني أتقنت العوالم وخلقت كل شيء وأني إله مسجون في إنسان أو متحد به ـ كما لفقوه في شريعة إيمانهم وتسبيحة دينهم؟!

وحاشاه حاشاه أن يناط به هذا الوضَر[2] ويغشاه؛ إذ هو القائل في إنجيله وفي أدعية ربه تعالى: (أنت الإله الحق وحدك الذي أرسلت يسوع المسيح)[3].

---

(١) متى ١٩/ ١٦ - ٢٧.
(٢) الوضر: الوسخ، وما تشمه من ريح تجدها من طعام فاسد (ر: القاموس ص ٦٣٤).
(٣) يوحنا: ١٧/ ٣.

وقال: (لا صالح إلا الله وحده)[1] وقال لرجل وهو يوصيه: (أحبب الله من كل قلبك ومن كل قوتك ففي هذه الوصية جميع وصايا الأنبياء)[2]/ وقال ١/٤٨/ب (أنا ذاهب إلى إلهي وإلهكم)[3] يقول ذلك للحواريين، فهذه نصوصه في التوحيد ونفي التثليث[4]، فمن أين جاءت النصارى هذه الداهية[5]؟! أسأل الله العصمة.

---

(١) ورد النص في متى ١٩/ ١٦ ، ١٧، مرقص ١٠/ ١٧، لوقا ١٨/ ١٨ .

(٢) ورد النص في إنجيل متى ٢٢/ ٣٥ - ٣٧، وورد أيضا فيه ٢٣/ ٩ أن المسيح قال: (إن أباكم واحد في السماوات)، ويؤكده ما ورد في إنجيل مرقص ١٢/ ٣٠، ٣١ قول المسيح: (الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواه).

(٣) يوحنا ٢٠/ ١٧ .

(٤) لقد وردت في أسفار العهد القديم أيضا - التي يؤمن النصارى بقدسيتها - نصوص كثيرة تصرح بوحدانية الله وتنفي الشرك عنه، منها: ما ورد في التوراة سفر الخروج ٢٠/ ١، ٢ قول الله لبني إسرائيل (أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي). وفي سفر التثنية أيضا قول موسى (الرب إلهنا رب واحد). وقد ورد التوحيد في سفر أشعياء ٤٥/ ٥، وسفر ملاخي ٢/ ١٠ وغير ذلك كثير. وبعد ذلك التصريح بوحدانية الله في التوراة وأسفار الأنبياء والأناجيل فإن للمؤلف وغيره أن يتساءل مندهشا ومنكرا على النصارى - من أين تسرب التثليث إلى دين التوحيد الذي جاء به المسيح عليه السلام مع عدم الدليل عليه؟!

(٥) للإجابة عن تساؤل المؤلف ودهشته ينبغي لنا أن نتعرف تاريخ الديانات الوثنية وتعدد الآلهة وتاريخ النصارى وأسباب انحرافهم، وخلاصة ذلك ما يأتي:

١- أن ظهور التثليث كان تحديدا لتعدد الآلهة المبالغ فيه أحيانا عند الديانات الوثنية القديمة، ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث في الألف الرابع قبل الميلاد

٢- نشأ مذهب عند الهنود وسط بين التوحيد والتثليث هو (التعدد في وحدة، والوحدة في تعدد)، وقد قالوا به قبل ظهور المسيح بأكثر من ألف عام، فكان عندهم (براهما وفشنو وسيفا) ويعدونهم ثلاثة جوانب لإله واحد.

٣- وظهر في الإسكندرية - زمن بطليموس الأول - عبادة الثالوث المصري المكون من (سيرابيس وإيزيس وحورس) وكانت هيئات ثلاث لإله واحد .

٤- الاضطهادات التي نزلت بالنصارى من اليهود والرومان أدت إلى قتل علمائهم وتحريق كتبهم ومنع قراءتها وتفريقهم واستتارهم، كل ذلك كان من أسباب انحرافهم ونفوذ الأهواء والأساطير والبدع إلى قلوبهم لتحل - مع الزمن - محل العقائد الصحيحة.

٥- ظهور بولس اليهودي وتظاهره بالنصرانية - وقد كان عارفا بالفلسفة الإغريقية ومدرسة الإسكندرية - ووضعه بذور التثليث بالدعوة إلى تأليه المسيح وبنوته لله. =

١١- اعتراف أهل زمانه بنبوته واستجابتهم لدعوته: انقسم الناس في وقته أقساما، فمنهم من يرميه بالخنا وبنوة الزنى، ومنهم من اعترف بنبوته واستجاب لدعوته، ومنهم من أدركته النفاسة وخشي أن يستلب الرئاسة، وداء الحسد متى استولى على الجسد فسد، وهو داء قديم من يوم ﴿**اخرج منها فإنك رجيم**﴾(١) قال رجل من الصحابة(٢): يا رسول الله أرفق بعبد الله بن أبيّ،

= ٦- ظهر في مدرسة الإسكندرية تجديد مذهب أفلاطون على يد أفلوطين وخلاصة فلسفته التي اعتنقها الكثيرون من الرومان:

أ - أن قمة الوجود هو الواحد أو الأول.

ب - الشيء المحدث عنه (عقل) شبيه به.

جـ - وهذا يفيض بدوره فيحدث صورة منه هي (نفس). وبعبارة أخرى سهلة (ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة).

ثم إن التاريخ يروي لنا أنه في القرن الثاني والثالث والرابع الميلادي قد دخل الرومان والمصريون أفواجا في النصرانية، وكثير منهم دخل النصرانية وفي رأسه تعاليم الوثنية الرومانية، والفلسفة الأفلاطونية الحديثة لم تخلع منه، وهؤلاء ولا شك أثر تفكيرهم في النصرانية.

٧- انعقاد مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥ م وتقريره لألوهية المسيح والتثليث، ثم انحياز الإمبراطور قسطنطين - الذي كان وثنيا - إلى ذلك الرأي وتأييده بجاه السلطان وقوة السنان. وكان لنشره تلك العقيدة أكبر الأثر في انتشارها واعتبارها الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية.

بذلك يتبين لنا الترابط الوثيق بين النصرانية المنحرفة والديانات الوثنية والفلسفية السابقة عليها كما حكم القرآن الكريم عليهم من قبل، فقال تعالى: ﴿**وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾ سورة التوبة: ٣٠.

(ر: للتوسع - تاريخ الفلسفة ص ٦- ١٩ لإبراهيم مدكور، محاضرات في النصرانية ص ٣٣ - ٣٩، ١٥٤ لأبي زهرة، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية - محمد طاهر التنير، المسيحية ص ١٠٨، ١٣٠ - ١٣٣ د. أحمد شلبي، أقانيم النصارى ص ٨٨، ٨٩. أحمد السقا، النصيحة الإيمانية ص ١٣٥ - ١٤٠ للمهتدي نصر المتطبب وتعليقات الطالب المحقق عليها).

(١) اقتباس من الآية الكريمة: ﴿**قال فاخرج منها فإنك رجيم**﴾ سورة الحجر: ٣٤.

(٢) هو سعد ين عبادة رضي الله عنه.

فـــــوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنملكه علينا، فإنه ليرى أنك استلبته ملكا[1]، فرفق به عليه السلام كما علم ولم يعرض له حتى اخترم.

قال متى: (لما دنا يسوع وأصحابه من أورشليم أرسل من جاءه بأتان وجحش فركب وفرش الناس له ثيابهم فارتجَّت المدينة لدخوله وقال الجمع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل، فدخل إلى / هيكل الله وأخرج ١/٤٩/أ الباعة الذين فيه وأمر برفع موائد الصيارف وكراسي باعة الحمام وقال: مكتوب أن بيت الله بيت الصلاة يدعى، وأنتم صيَّرتموه مغارة للصوص وكل مفسد)[2].

قلت: هذا الفعل من المسيح قريب من قوله عليه السلام حين بال الأعرابي في المسجد: «**صبوا عليه ذنوبا من ماء، إن المساجد لم تبن لهذا، إنما بنيت للصلاة والذكر**»[3].

وفي الفصل: أن أحسن أقوال الناس فيه كان قول من يقول: هو نبي من الأنبياء. وفيه: أن المسيح احتاج أن يركب حمارا من التعب والإعياء وذلك يكذب الأمانة إذ تقول (إن المسيح من جوهر الله) وقد خلق الله الخلق في ستة أيام وما مسَّه من لغوب، فكيف يفتقر من هو من جوهره إلى المركوب؟! وإنما هو على الحقيقة من جوهر أبيه يعقوب، كما نطق به الإنجيل عن جبريل.

١٢- ومن الدلالة على نبوته إقراره من ينطق بنبوته على ذلك وترك الإنكار عليه:

---

(١) أخرجه ابن اسحاق مختصرا (ر: السيرة النبوية ٢/ ٢٧٠)، والبخاري في كتاب التفسير باب (١٥) (ر: فتح الباري ٨/ ٢٣٠)، ومسلم ٣/ ١٤٢٢ في سياق طويل، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٥٧٦ كلهم من طريق الزهري عن عروة بن الزبير عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما... فذكره بنحوه.

(٢) متى ٢١/ ١ - ١٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب (٥٧، ٥٨) (ر: فتح ١/ ٣٢٢، ٣٢٣)، ومسلم ١/ ٢٣٦، ٢٣٧، وأحمد ٣/ ١١١ عن أنس بن مالك رضي الله - واللفظ لمسلم.

١/٤٩/ب قال لوقا في إنجيله (صحب يسوع بعد قيامه رجلين/ وهما يتحدثان في أمره وأمر اليهود فقال لهما: من تذكران؟ وكانت أعينهما ممسوكة عن معرفته، فقالا: يسوع الناصري كان رجلا نبيا قويا بالأعمال، فلم ينكر عليهما وسار معهما فأضافاه وبات عندهما)(١).

فكيف يُقرّهما على الكفر أنه إله ورب كما يقول النصارى؟! وهَلاَّ نبههما وعَرّفهما خطأ ما قالا. فكيف يسكت على ما لايجوز؟! فقد كان يقاوم اليهود في المحافل ويخزيهم ويلعنهم في المجالس ولا يغتفر لهم الزلل ولا يغطي منهم على الخطأ والخطل(٢) ويحاققهم فيما لا تعم به البلوى، فكيف يجوز أن يسامح في أمر يتعلق بالربوبية؟! وكيف يداهن الرجلين ويسمح لهما في أن يعتقدا نبوته وهو ربهم وخالقهم وإلههم ويؤخر البيان عن وقت حاجتهم إليه، وهو في الساعة التي أزمع فيها على مفارقة أهل الأرض وقد صار لهما عليه مع حق العبودية حق الرفاقة واسترسال الصحبة والمبايتة وهو يسمعهما يشهدان أن
١/٥٠/أ المسيح كان نبيا قويا بالأعمال/ ؟! والمداهنة في الدين لا تليق بمثل المسيح مع أنه لا حاجة به في تيك الساعة إليهما، فإقرارهما على ما قالا ومسايرته لهما ومبيته عندهما وتناوله طعامهما رضا بقولهما فيه وحكماً بصحة ما ذهبا إليه من نبوته، فكيف لم ترض النصارى له بما رضي هو لنفسه من أهل زمانه؟!

١٣- دليل على نبوته من مفهوم قوله: قال متى: (جاء إلى يسوع رؤساء الكهنة فقالوا: بأي سلطان تفعل هذا؟ ومن الذي أعطاك هذا السلطان؟ فقال يسوع: وأنا أسالكم عن كلمة واحدة: معمودية يوحنا من أين هي؟ أمن الله أم

---

(١) لوقا ٢٤/ ١٣ - ٢٩ وقد أورد المؤلف النص بالمعنى، ولكن لم يُذكر في لوقا أو غيره أن المسيح بات عند الرجلين.

(٢) الخطل: المنطق الفاسد المضطرب (ر: مختار الصحاح ص ١٨١).

من الناس؟ فقالوا: لا نعلم. فقال: وأنا أيضا لا أعرفكم بأي سلطان أفعل ما أفعل، ثم قال: الحق أقول لكم إن الزناة والعشارين سيسبقونكم إلى ملكوت الله، جاءكم يوحنا بطريق العدل فلم تؤمنوا به والعشارون والزناة آمنوا)[1].

هذا القول بمفهومه يدل على نبوته إذ جعل أفعاله وأفعال يحيى بن زكريا تخرج من مشكاة واحدة، وفي هذا الكلام ما يهدم على النصارى قطبا من أقطاب كفرهم، وهو ما حكيناه عنهم / من أنه لا يخرجهم من الخطيئة التي ورطهم فيها أبوهم آدم إلا قتل المسيح، وهاهو يقول إن الزناة والعشارين يسبقون اليهود إلى الملكوت بالتوبة والانصباغ في معموديته ومعمودية يوحنا، ولم يحوجهم إلى غير ذلك، ولم يُرجِ خلاصهم إلى قتله وصلبه كما يهتف به النصارى، بل جعل التوبة وحسن الاتباع كافيا في ذلك. ١/٥٠/ب

١٤- ومن الدليل على نبوته دعاؤه إلى الله سبحانه أسوة غيره من الرسل: قال متى: (قال له قائل: يا معلم، أيما أعظم الوصايا في الناموس؟ قال: أعظم الوصايا في الناموس أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قوتك ففي هذا جميع نواميس الأنبياء)[2].

قلت: لو كان الأمر على ما يعتقد أهل الضلال لقال للرجل: أعظم الوصايا في الناموس أن تحب الثالوث والصليب، كلا والله، وأين هذا الهذيان من نواميس الأنبياء؟! وأعظم النواميس توراة موسى ثم داود ثم أشعيا وقد فليناها طرقا تترى وتصفحناها بطنا وظهرا، فلم نر فيها / لما يدعيه النصارى أصلاً البتة، ولقد شددت على من تنكب التوحيد أشد تشديد حتى قالت: (أيما ١/٥١/أ

---

(١) متى ٢١/ ٢٣ - ٣٣.

(٢) متى ٢٢/ ٣٤ - ٤٠ وفيه (قال له يسوع: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك - هذه هي الوصية الأولى والعظمى - والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك، بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء).

نفس أشركت مع الله غيره في حبها فأهلكوا تلك النفس من شعبها)[1].

١٥- دليل صحيح على نبوة المسيح: قال متى: (قال يسوع المسيح وهو يخاطب البلد: يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم من مرة أردت أن أجمع بنيك حولك كما تجمع الدجاجة فراريجها فلم يريدوا)[2].

وجه الدلالة من هذا الكلام أنهم كانوا يتوثبون عليه في المجالس بأورشليم يريدون قتله؛ إذ كان يفحمهم بالحجج فربما تناولوا الحجارة ليحصبوه فيتوارى ويخرج من بينهم ويذهب. وقد قتلوا عدة من أنبيائهم بها، فكأنه يقول: تريدون قتلي كما فعلتم بمن تقدمني، والخطاب للبلد والمراد أهلها، والقول بنبوته ألزم على قول النصارى أنه قتل بأورشليم لأنه سماها قاتلة الأنبياء ولم يقل يا قاتلة الإله، وفي الكلام ما يمنعهم من اعتقاد ربوبيته لأنه أراد جمعهم على الإيمان فلم تنفذ إرادته، ومن هذا / سبيله فلا يصلح للربوبية؛ فقد شهد على نفسه بالعجز عن جمعهم على الدين والهدى، وأولى ذلك لربه عز وجل إذ يقول في دعائه: (أيها الأب كل شيء بقدرتك اصرف عني هذا الكأس) كما تقدم. ١/٥١/ب

والعجب أن المسيح أراد وأراد اليهود فنفذت إرادتهم وقصرت إرادته، إذ قال: إنه أراد أن يجمعهم، فلم يريدوا هم، وإله تقصر إرادته وتنفذ إرادة عدوه إله ضعيف. وهذا فاعلم حال الأنبياء مع كفار قومهم، قال: الله تعالى لنبيه عليه السلام ﴿**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء**﴾[3] و قال

(١) ورد حكم القتل على المرتد المشرك في سفر الخروج إصحاح (٢٠، ٣٤) وفي سفر التثنية إصحاح (١٣، ١٧).

(٢) متى ١٣/ ٣٧.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٢.

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[1] .

وفي هذا الكلام إثبات مزية لموسى عليه السلام ، وذلك أن موسى عليه السلام أراد جمع قومه على الايمان فاستجابوا وأذعنوا ، وأمرهم بالنفر معه فسارعوا وظعنوا، فأخرجهم من مصر وجلَّلهم النصر، وشق بهم البحر، ورفع عنهم السيف بعد أن بلغ النحر، وقاتل بهم الملوك فلم يغلب، وقهر العمالقة والجبابرة ولم يقتل ولم يصلب. فما نرى موسى إلا كان أحق أن يُدَّعى له ما ادُّعي في المسيح / . فلو أن النصارى جمعت بين قوله للبلد (يا قاتلة الأنبياء) ١/٥٢/أ وبين دعواهم أنه قتل بها لما وسعهم إلا القول بنبوته ولكن أفهام القوم بعيدة عن هذا النمط، قريبة من السقط والغلط. ألا تراهم كيف جمعوا في الاعتقاد بين الأضداد فقالوا في تسبيحة أمانتهم (نؤمن بالرب أيسوع المسيح الذي أتقنت العوالم بيده وخلق كل شيء وقتل وصلب أيام هيرودس)؟! فبينا هم ينعتونه بالرب المجيد إذ وصفوه بذُلٍّ ما عليه مزيد! .

١٦- شهادة أشعيا للمسيح عليهما السلام بالنبوة والرسالة وتكذيب اليهود فيما قرفوه به: قال لوقا: (جاء يسوع إلى الناصرة حيث تربى ودخل كعادته في مجامعهم يوم السبت ليقرأ فدفع إليه سفر أشعيا النبي فلما فتحه إذا فيه مكتوب (روح الرب علي من أجل هذا مسحني وأرسلني لأبشر المساكين، وأشفي منكسري القلوب، وأنذر المأسورين بالتخلية، والعميان بالنظر، وأبشر بالسنة المقبولة). ثم طوى السفر ودفعه إلى / الخادم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: اليوم ١/٥٢/ب كمل هذا المكتوب في سماعكم، فجعلوا يقولون: أليس هذا ابن يوسف؟!

---

(١) سورة يونس : ٩٩

فقال : الحق أقول لكم إنه لا يقبل نبي في مدينته وعند عشيرته)[1] .

فهذه نبوة من أشعيا على تصديق المسيح في دعوى النبوة والرسالة، وقد ذكر أن روح الرب عليه، وهو نزول روح القدس الذي هو العلم والحكمة الواصلة إليه مع الملك، كقول الله في التوراة لموسى : (يصنع لك قبة الزمان بصلئيل[2] الذي من سبط يهوذا ورفيقه الذي من سبط دان وهما اللذان ملأتهما روح الله بالعلم والحكمة)[3] . وكقول الإنجيل : (إن يوحنا بن زكريا امتلأ من روح القدس وهو في بطن أمه)[4] .

وكقول المسيح في الإنجيل : (إن سمعان[5] كان ينتظر عزاء إسرائيل وكانت روح القدس تحل عليه)[6] فهذه الروح متى حلت على آدمي تنبأ أو نطق بالحكمة وذلك مشهور عند أهل الكتاب . وقد حكينا قول الله في الكتاب العزيز في حق المؤمنين ﴿**وأيدهم بروح منه**﴾[7] .

وقال أشعيا النبي في كتابه (قال الله لي : اخرج إلى بقعة كذا وكذا، فخرجت/ فجاءت الروح فدخلت فيّ فأقامتني على رجلي)[8] فهذه الروح متى جاءت نبيا كانت وحيا، ومتى جاءت وليا من أولياء الله أكسبته إلهاما عن الله ١/٥٣/أ

---

(١) لوقا ٤/ ١٦ - ٢٤ بألفاظ متقاربة .

(٢) في الأصل (يصل أل) والتصويب من نص التوراة .

(٣) خروج ٣٥/ ٣٠ - ٣٢ .

(٤) لوقا / ١٥ .

(٥) هو سمعان الشيخ : رجل تقي سكن أورشليم، وأوحي إليه أنه سيعيش حتى يرى المسيح (ر: قاموس ص ٤٨٣).

(٦) لوقا ٢/ ٢٥ .

(٧) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٨) ورد النص في سفر حزقيال ٣/ ٢٢ - ٢٤ منسوبا إليه، وقد وهم المؤلف رحمه الله في نسبته القول إلى أشعيا وكتابه، ولعله من الناسخ، والله أعلم .

وجودة فراسة وصدق توسم قال الله في كتابه العزيز ﴿. . **إن في ذلك لآياتٍ للمتوسمين**﴾[1] وقال سيدنا محمد رسول الله ﷺ : «**إن من أمتي** [محدثين[2]]»[3].

وقد قال النصارى : قال المسيح لأصحابه : (لا تهتموا بما تقولون إذا حضرتم المجالس فإن روح أبيكم الحال فيكم هي تنطق عنكم بالعلم والحكمة[4].

فأما قول المسيح في آخر الكلام عندما وخزه الناس بأبصارهم : (إنه لا يقبل نبي في بلدته وعند عشيرته)[5] فذلك واضح في نبوته لمن أراد الله هدايته. واعلم أن من لاحظ هذا الفصل بعين الإنصاف لم يتخالجه الشكوك في نبوة المسيح وأن اعتقادها هو الاعتقاد الصحيح، ولهذا تجد كثيرا من عقلاء النصارى يضمرون اعتقاد نبوته دون ربوبيته، ولكن لا يبوحون بذلك خشية الجمهور مع الأُنس بالمَرْبَى، إذ كل مولود يولد على الفطرة / فأبواه يهودانه ١/ ٥٣/ ب وينصرانه ويمجسانه[6].

---

(١) سورة الحجر: ٧٥ .

(٢) في ص (محدثون) والصواب ما أثبته .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب (٥٤) (ر: فتح ٦/ ٥١٢)، وأحمد ٢/ ٣٣٩ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : «إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب». وأخرجه مسلم ٤/ ١٨٦٤، والترمذي ٥/ ٥٨١ عن عائشة رضي الله عنها بنحوه، قال ابن وهب : تفسير محدثون : ملهمون .

(٤) متى ١٠/ ١٧ - ٢٠ .

(٥) متى ١٣/ ٥٧، لوقا ٤/ ٢٤ .

(٦) اقتباس من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ . .» أخرجه البخاري في كتاب الجنائز (ر: فتح الباري ٣/ ٢١٩)، ومسلم ٤/ ٢٠٤٨، وأحمد في مسنده ٢/ ٣١٥ .

١٧ - خارق من خوارق نبوته يتحقق بـه كذب اليهود وبهتهم فيما نسبوه إليه : قال لوقـا : (رأى يسوع جنازة شاب واحد لأمه ومعهـا جمع من أهل المدينة ورآها تبكي وراءه ، فَرَقَّ لها وتحنن عليها ، وقـال لها : لا تبكي . ثم تقدم ومس النعش فوقف الحاملون ، فقال يسوع للميت : لك أقـول يا شاب قم فاجلس . فجلس الميت وتكلم فـدفعه لأمـه ومجدوا الله ، فقـال الناس : لقـد قام فينـا نبي عظيم وتعاهد الله شعبه بصلاح . فذاع ذلك في اليهودية)[١] .

فإن أنكر اليهود دلالة هـذه المعجزة على النبوة وصلاحيتها لدعـوى الرسالة ، قلنا لهم : فلعل انقلاب العصا حيوانـا ذا عينين لا يدل أيضا على النبوة ، وحيث بطل القـول بـذلك بطل هذا ، على أن آيـة المسيح أوضح في الـدلالـة وذلك أن إحيـاء من مـات أوثق في النفـوس من اضطـراب خشبـة وتحركهـا ، مع احتمال السحر والشعبـذة ، كيف واليهود يزعمـون أن سحرة / فـرعون عارضـوا موسى ١/ ٥٤ وفعلـوا مثل فعلـه على ما يشهـد بـذلك تـوراتهم[٢] ؟ وذلك متعـذر في إحيـاء الميت ، فقد وضحت نبوته ، وأكذب الله اليهود وأخزاهم بظهور صدقه .

وقد شهد لـه الجمع العظيم بالنبوة بقولهم : (لقـد قام فينا نبي عظيم) وذلك حجـة على النصـارى ، إذ صَحَّ عن خيـار أسـلافهم أنهم شهدوا لـه بـالنبـوة ، فكيف يـدعي المتأخرون ألـوهيته؟! وإنما طـريق من غاب الأخـذ عمن حضر ، فإن زعم النصارى اليـوم أن قول ذلك الجمع ليس بحجـة في إثبات نبوتـه ، قلنا لهم : الحجة القاطعة تقريرهم على ذلك والرضا منهم به وترك الإنكار عليهم .

أفتقول النصـارى - ويلهم - إن المسيح عليه السلام أقرهم على الكفـر وقول الباطل؟! وهل تسمية الله نبيـا إلا كتسمية النبي إلهاً؟! وكيف يعتقد في المسيح

---

(١) لوقا ٧/ ١٢ - ١٧ بألفاظ متقاربة .

(٢) انظر سفر الخروج الإصحاح السابع .

أن يسمعهم ينطقون بالمحال ولا يرشدهم؟! وهو القائل في إنجيله: (لا تدعوا لكم معلما على الأرض فإن معلمكم هو المسيح)[1] والأنبياء كلهم معلمون، (ولا تدعوا لكم مدبراً في الأرض فإن مدبركم هو المسيح)/ وإذا كان المسيح هو ١/٥٤/ب معلمهم ومدبرهم، فكيف تقولون إنه أهملهم وتركهم يخبطون في عمياء ويتيهون في ظلماء ويخاطبون ربهم بأنه نبي من الأنبياء ثم لا يرشدهم إلى اعتقاد الحق وقول الصدق؟!

فإن استروح النصارى في دعواهم ربوبيته إلى إحياء الميت أريناهم من كتبهم التي بأيديهم جماعة من أنبيائهم قد أحيوا الموتى مثل إلياس واليسع وحزقيال وغيرهم ولم يخرجهم هذا الصنع عن كونهم عبادا لله تعالى.

فإن قال النصارى: إن أولئك كانوا إذا راموا شيئا من ذلك تضرعوا إلى المسيح وسألوه وطلبوا منه المعونة ودعوه، قلبنا عليهم السؤال وقلنا: فلعل المسيح كان إذا رام شيئا من هذه الآيات تضرع إلى أحد من ذكرنا وسأله ودعاه وطلب منه فهم متقدمون عليه وأرواحهم في حضرة الملكوت قبله، وهو متأخر عنهم فهو أحق أن يسألهم من أن يسألوه، فقد وضح بذلك نبوته واستوى حاله وحال من تقدمه من إخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

١٨- شهادة فولس بنبوة المسيح ورسالته / وأنه واسطة بين الله وبين عبادة ٥٥/أ أسوة غيره من الأنبياء: قال في الرسالة الرابعة عشرة إلى العبرانيين: (أما أنتم فاقتربتم من جبل صهيون ومن مدينة الله أورشليم التي في السماء ومن ديوان الملائكة ومن الله ديّان الجميع ومن يسوع المسيح واسطة الوصية الحديثة الذي هو أفضل من هابيل[2]).

---

(١) متى ٢٣/ ٨ - ١٠ بألفاظ متقاربة.

(٢) رسالة بولس إلى العبرانيين ١٢/ ٢٢ - ٢٤ بألفاظ متقاربة.

فهذا فولس لم يدع للمسيح ما يتقوله النصارى من ربوبية المسيح وألوهيته، بل يشهد بأنه سفير وواسطة بين الله وبين عباده في الوصية[1] ويخبر بأنه أفضل من هابيل، وكل تصريح منه بخلاف ما ذهب النصارى إليه.

١٩- بيان أنه كان يضيف ما يفعله إلى الله تعالى: قال لوقا: (أُتي يسوع بمجنون لا يسكن إلا المقابر ولا يلبس ثوبا فلما رأى يسوع خر بين يديه وقال: يا يسوع سألتك بالله لا تعذبني. فأمره أن يخرج من الرجل فخرج، ثم أفاق الرجل وسأل يسوع الصحبة فقال له: اذهب وأخبر بالذي صنع الله بك. فذهب فجعل ينادي بذلك في المدينة)[2].

قلت: طلب الرجل صحبة المسيح فصرفه وعرفه أن الشفاء من الله وأمره بإشاعة / شكر الله، فقال: أخبر بالذي صنع الله بك. ولم يقل بالذي ١/٥٥/ صنعت بك. فإن قال النصارى: لا فرق بينهما، إذ كان المسيح هو الله والله هو المسيح.

قلنا لهم: فالمجنون إذاً أعقل وأعرف بالله منكم؛ إذ يقول: يا يسوع أسألك بالله، فقد عرف الله تعالى على [حدٍ][3] وعرف المسيح على [حدٍ][4] وأدرك التفرقة بين الإله المقسم به وبين الإنسان المقسم عليه. وأنتم تقولون أن الإله هو الإنسان والإنسان هو الإله، فأيكم أولى بالجنون؟!

---

(١) في ش: الوصية الحديثة هي الإنجيل لأن الوصية القديمة هي (للتوراة فاعلمه) اهـ. قلت: التعبير المعاصر هو العهد القديم والعهد الجديد.

(٢) لوقا ٨/ ٢٧ - ٣٩ في سياق طويل، وقد ذكره المؤلف بالمعنى.

(٣)، (٤) في ص: حدن.

إن طرق اليهود إلى هذا شيئا من الطعن انعكس عليهم في [حية][1] النحاس وغيرها؛ إذ طريق ثبوت الكل واحد، فالاعتراض على نوع منها يعود على سائرها، ولا سبيل إلى رد شيء منها.

٢٠- دليل على رسالته من لفظه: قال لوقا: (اختار يسوع سبعين [رجلا][2] وبعثهم إلى كل موضع أزمع أن يأتيه وقال: الحصاد كثير والحصادون قليل، اطلبوا إلى صاحب الزرع أن يرسل فَعَلَة لحصاده ثم قال: من سمع منكم فقد سمع مني، ومن شتمكم فقد شتمني، ومن شتمني فإنما يشتم / من أرسلني)[3]. /٥٦/أ

فإن قال النصارى: ذلك دليل على الربوبية لأن إرسال الرسل إلى الخلق دليل على ما قلناه قلنا لهم: أما بعث السبعين فليس فيه مستروح لكم، فقد اختار موسى سبعين رجلا من قومه وندبهم لإبلاغ بني إسرائيل فنبأهم الله ببركة اختياره فصاروا أنبياء[4]، فأما السبعون الذين اختارهم المسيح فمن سلم لكم أنهم كانوا أنبياء مؤيدين بالمعجزات؟ ولعل المسيح عليه السلام إنما اقتدى بسنة موسى في الإرسال والعدد، فالمسيح عليه السلام نبي ورسول ولا يمتنع أن يكون [للرسول][5] رسول، فقد أرسل رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه إلى ملوك الأرض.

فإن قال النصارى: قوله: (من شتمني فإنما يشتم من أرسلني) دليل على

---

(١) في ص (الحية) والصواب ما أثبته.
(٢) في ص (رجل) والصواب ما أثبته.
(٣) لوقا ١٠/ ١، ٢، ١٦.
(٤) يعتقد النصارى أن الحواريين والسبعين رسولا الذين اختارهم المسيح لتبليغ دعوته كانوا أنبياء ورسلا وكذلك بولس الملقب بالرسول. أمانحن المسلمين فنعتقد أنه ليس بين النبي ﷺ وبين المسيح عليه السلام نبي أو رسول، كما ورد ذلك في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم ٤/ ١٨٣٧ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا أولى الناس بابن مريم؛ الأنبياء أولاد علات وليس بيني وبينه نبي».
(٥) إضافة يقتضيها السياق.

الاتحاد[1] الذي نقول به .

قلنا : وقوله : (من شتمكم فقد شتمني) دليل على اتحادهم بالمسيح ، أفتقولون إن السبعين اتحدوا بجسد المسيح؟ فإن تراعنوا وادعوا ذلك قلنا لهم : فيلزم على ذلك أن يكونوا قد اتحدوا / بذات الله إذ كانوا قد اتحدوا بمن اتحد به ١/٥٦/ المسيح ، فإن التزموا ذلك ، قلنا : فالسبعون هم الله تعالى والله هو السبعون ، والرسول هو المرسِل والمُرسل هو الرسول ، وهذا هو الجنون . ثم نقول للنصارى : أليس قد اعترف المسيح بأن غيره أرسله؟! فكيف تقولون إنه هو نفسه؟ فإن قالوا : هذا اعتقاد طائفة[1] منَّا ونحن لا نلتزمها فيلزمنا الذب عنها ولكن الاعتقاد المرضي عندنا أن المسيح ابن الله[2] ولانقول هو الله نفسه ولا يبعد أن يرسل الله ابنه إلى عباده . فحينئذ يحسن أن نعيد عليهم بعض ما مضى لنا ونقول : ألم تقولوا في الأمانة (نؤمن بالمسيح الإله الحق الذي أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء الذي نزل من السماء وتجسد وولدته مريم وقتل وصلب)؟! ألم تقرؤوا في صلواتكم : (يا ربنا المسيح الذي ذاق الموت من أجلنا ونزل من السماء لخلاصنا لا تضيع من خلقت بيديك)؟!

ألم ينقلوا عن إفريم من أسلافكم وكبار مشائخكم قوله : إن / اليدين التي ١/٥٧/ جبلت طينة آدم هي التي سمرت على الخشبة ، وإن الشَّبر التي مسحت السماوات هي التي عُلقت على الصليب ، وإن من لم يقل إن مريم ولدت الله فهو محروم من ولاية الله؟! وإذا كانت صلواتكم وأمانتكم وأقوال مشائخكم

---

(١) يقصدون به اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح عليه السلام .

(٢) هي طائفة اليعقوبية وسيأتي الحديث عنها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى اعتقاد هذه الطائفة بقوله تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ سورة المائدة : ١٧ .

(٣) هذا اعتقاد طائفة النسطورية ، وقد أشار القرآن الكريم إليها بقوله تعالى : ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله . . .﴾ سورة التوبة : ٣٠ .

مصرحة بذلك فقد كَذبتم في هربكم مما ألزمناكم وصدق المسيح في قوله: (إن الله نبأه وأرسله).

وأما قولهم: فلا يبعد أن يرسل الله ابنه، وتسمية الله أباً والمسيح ابنا، فنحن نسألهم ما تعنون بهذه البُنوة؟ أمجرد تسمية وتشريف أم لما خصه به من الآيات والخوارق أم تريدون البنوّة المعروفة المألوفة؟

فإن قالوا: إن ذلك مجرد تسمية وتشريف، قلنا: فلا اختصاص للمسيح بهذا التشريف والتسمية، ولا مزية له على غيره؛ فقد سمَّى الله يعقوب ابنا وسمى داود ابنا وسمى الصالحين وأولاد الأنبياء أبناء بزعمكم.

فرويتم أنتم لنا عن الله في التوراة قوله: (إسرائيل ابني بكري)(١). يقول ذلك لفرعون في عدة مواضع. ١/٥٧/ب

وقال في السفر الأول: (لما رأى بنو الله بنات الناس حساناً/ جدا نكحوا منهم على ما أحبوا وأرادوا فغرقهم الله بالطوفان)(٢).

وقال في المزامير: (داود ابني حبيبي)(٣). وقال المسيح: (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم)(٤). فقد استوى المسيح وغيره في هذا التشريف وترجح إسرائيل بالبكارة عليه. وإن أردتم البنوة المعروفة المألوفة بين الناس وهي المتخذة من الزوجة والمملوكة، على معنى أن المسيح انفصل من الله، فكيف يصح هذا، وإنما ينفصل الجسم من جسم مثله والباري منزه عن الجسمية؟! ثم ذلك باطل بنص الإنجيل؛ إذ قال لوقا: (إن المسيح من روح القدس)(٥) فكيف تقولون

---

(١) سفر الخروج ٤/ ٢٢.
(٢) تكوين ٦/ ١، ٢.
(٣) مزمور ٢/ ٧.
(٤) يوحنا ٢٠/ ١٧.
(٥) لوقا ١/ ٣٥.

إنه منفصل من ذات الله؟! فقد بطل مقصودكم من البنوة على كلا القسمين.

وإن قالوا: إنما استحق المسيح البنوة لما اتحدت به الكلمة فصار بها ابنا على[1] الحقيقة، وغيره ممن ذكرتم لم يتحد به فبقي ابنا على سبيل التشريف.

قلنا: أخبرونا عن هذه الكلمة، ما هي؟ وما الذي تعنون بها؟ فإنهم يقولون: الكلمة هي العلم أو النطق ولا يعدلون عن ذلك، فيقال لهم: أليس من حكم الصفة أن لا تفارق الذات / الموصوفة بها فإذا كان العلم أو النطق هو ١/٥٨/ صفة لذات الباري تعالى فلا تفارقه إلا ويخلفها ضدها وهي الجهل أو الخرس.

فإن كان علم الباري قد انفصل أو نطقه وقام بغيره فقد صار القديم ماوقا[2] ناقصا وذلك مستحيل على الله سبحانه، وإن كان علم الله لم يزايله وكلامه لم يفارقه، فلا حقيقة لهذا الاتحاد الذي تدَّعونه. وقد أطلت النفس قليلا فلنرجع إلى إيثار الاختصار؛ فإن هذه الفرقة أنزر شأنا من أن يحتفل لها.

٢١- إيثاره الله على ما سواه وذلك دأب النبيين من إخوانه عليهم السلام: قال لوقا: (جلس يسوع يوما يتكلم على تلاميذه فرفعت امرأة من المجلس صوتها وقالت: طوبى للبطن التي حملتك [وللثديين][3] التي أرضعتك. فقال لها المسيح: مهلا طوبى لمن يسمع كلام الله فيحفظه)[4].

---

(١) يشير النصارى - في قولهم ذلك - إلى ما ورد في إنجيل يوحنا ١/ ١ - ٢، ١٤ ونصه (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان من عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان البدء عند الله... والكلمة صار جسدا، وحل بيننا، ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا).

(٢) المُوقُ: حمق في غباوة، يقال: أحمق مائق، والجمع (مَوقَى) مثل حمقى ونَوكى. (ر: الصحاح للجوهري ٤/ ١٥٥٧).

(٣) في ص (وللأيدي) والتصويب من النص.

(٤) لوقا ١١/ ٢٧، ٢٨.

قلت: هذه امرأة اشتغلت بمدح المخلوق فأرشدها لمدح الخالق جل وعلا.

انظر إلى هذا الكلام الصادر من هذه المرأة، هل خرج من قلب معتقد ربوبية المسيح وألوهيته؟! وإلا فما أحسن ربا في بطن وإلهاً على أيدي المراضع! أعوذ / بالله من الضلال والتعبد للأطفال. /٥٨ب

٢٢- شهادة يوحنا الإنجيلي على المسيح بالنبوة: قال يوحنا: (كان الناس إذا رأوا يسوع وسمعوا كلامه يقولون: هذا النبي حقا)[١] وقال يوحنا أيضا: (تفل يسوع على طين ووضعه على عيني أكمه وقال: اذهب فاغتسل في عين شلوخا. ففعل فانفتحت عيناه، وذلك في يوم السبت فوقع بين اليهود فيه خلف، فمنهم من يقول: ليس هذا الرجل من الله إذ لا يحترم السبت، ومنهم من يقول: إن الله لا يستجيب للخاطئين، ومنهم من يقول: هو نبي)[٢]، (ومنهم من يقول: إنه لا يجيء نبي من الجليل)[٣].

قلت: هذا هو يوحنا الإنجيلي الذي يُسمى حبيب المسيح يشهد بنبوته، وهو أحسن أقوال أهل زمانه فيه، وذلك يكذب اليهود والنصارى.

أما اليهود ففي جحد نبوته، وأما النصارى ففي ادعاء ربوبيته.

٢٣- موعظة مشابهة لمواعظ الأنبياء عليهم السلام: قال المسيح لمن حضره: (لم لم تحكموا بالحق من نفوسكم؟! فإذا ذهب أحدكم مع خصمه إلى الرئيس فليدفع ما / يجب عليه في الطريق فيخلص كيلا يذهب به إلى الحاكم فيدفعه الحاكم إلى المستخرج فيلقيه المستخرج في السجن، الحق أقول لكم إنه لا يخرج منه حتى يؤدي آخر فلس عليه)[٤]. /٥٩أ

---

(١) يوحنا ٤/ ١٩، ٦/ ١٤، ٧/ ٤٠، ٩/ ١٧.

(٢) يوحنا ٩/ ١٣ - ١٧.

(٣) يوحنا ٧/ ٥٢.

(٤) لوقا ١٣/ ٥٧ - ٥٩، وبنحوه متى ٥/ ٢٥، ٢٦.

قلت: الموعظة بليغة ومعناها رائق وقاعدتها مبنية على أس من الحقائق، غير أن قول خاتم النبيين «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[1] أبلغ من ذلك وأخصر وأضبط لشوارد فرائد الفوائد وأحصر.

٢٤- قال المؤلف عفا الله عنه: وقد شهد يوحنا الإنجيلي أن المسيح ليس إلهاً، ولكنه نبي بار ذو شفاعة مقبولة عند الله، فقال في الفصل الأول من رسالته الأولى: (أيها الأبناء لا تخطئوا، فإن أخطأ أحدكم فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار)[2].

فهذا ـ رحمكم الله ـ يوحنا الحواري مفارق لمقالة النصارى في المسيح موافق لاعتقاد الملة الحنيفية في نبوته عليه السلام.

٢٥- دليل صحيح على نبوة المسيح: قال لوقا: (قال الفريسون ليسوع: اخرج من هاهنا فإن هيرودس يريد قتلك، فقال امضوا وقولوا لهذا الثعلب أني

---

(١) أخرجه الحافظ ابن أبي الدنيا في كتابه محاسبة النفس بتحقيق المستعصم بالله مصطفى بن علي ص٢٢، وعنه ابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٤٢، قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا. .). قلت: وهذه الرواية موقوفة على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكل رواتها ثقات. والخبر قد رواه الترمذي ٤/ ٥٥٠ مختصراً بلفظ: يروى عن عمر

(٢) ورد النص في رسالة يوحنا الأولى ٢/ ١ كالآتي (يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا وإن أخطا أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا).

قلت: إن استدلال المؤلف بهذا النص على نبوة المسيح وعدم ألوهيته صحيح لأن الشفاعة تقتضي خضوع طرف لآخر وتذلله، والمسيح هنا مصرح بأنه يطلب الشفاعة من الله، فهو إذن عبد من عبيد الله أكرمه بالرسالة والنبوة. وأما بقية النص فإنه لا يسلم للنصارى بأن المسيح جاء كفارة لخطايا العالم، فهذه دعوى للنصارى لا دليل صحيح لهم عليها، لا سيما وأن ذلك يتعارض - بجانب العقل - مع ما جاء في كتابهم المقدس مصرحا بـ (أن النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون) سفر حزقيال ١٨/ ٢٠.

/ أقيم هاهنا اليوم وغدا وفي اليوم الثالث أكمل لأنه لا يهلك نبي خارجا عن ١/٥٩/ب
أورشليم)[١].

قال المؤلف عفا الله عنه: لو اجتمع علماء النصرانية وراموا صرف هذا الكلام عن صلاحيته لنبوة المسيح إلى إثبات ما يدعونه من الربوبية لأعوزهم[٢] ذلك. فمن أبدى من النصرانية في بنوته نزاعا، ورام لها دفاعا فهذا الفصل وأمثاله حجة عليه. فإن قال النصارى: هب أن هذا الفصل يدل على نبوته، أليس قد شهد عليكم معشر المسلمين بأنه في اليوم الثالث يقتل ويصلب؟

قلنا: لم يقل ذلك وحاشاه منه، إنما قال: إنه في اليوم الثالث يكمل، يريد أنه تتم مدة إقامته في هذا العالم الناقص ثم يرتفع، وكيف يكون أراد ما ذكرتم من القتل والصفع والصلب وذلك غاية النقص؟! لأنكم زعمتم أنه ضرب وسحب ثم قتل وصلب وسلب وذلك لا يعد كمالا، بل الكمال الذي أراده هو الذي يقول به المسلمون من أن الله حماه من أعدائه حين طلبوه ورد طلبتهم منه بالحرمان، فما / قتلوه وما صلبوه، ونحن إن شاء الله إذا انتهينا إلى ذكر القتل ١/٦٠/أ والصلب أبدينا فيه العجب العجاب وأقررنا عيون أولي الألباب.

٢٦- وصية مناسبة لكلام الرسل: (قال المسيح عليه السلام: إذا دعاك أخوك فلا تجلس في صدر المجلس؛ فلعله قد دعا هناك من هو أكرم عليه منك فيأتي المدعو فيقال لك: دع المكان لهذا، فتقوم فتجلس في آخر باب الناس فتخزى أمام الحاضرين، ولكن إذا دعيت فاجلس في آخر موضع حتى إذا جاء الذي دعاك يقول لك: يا حبيب ارتفع عن مجلسك هذا فيكون لك مجد أمام

---

(١) لوقا ١٣/ ٣١ - ٣٣.

(٢) في ش: أعوزه الشيء: إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه.

الحاضرين، فمن اتضع ارتفع ومن ارتفع اتضع. وإذا صنعت وليمة فلا تدع أحباءك وأغنياء جيرانك لكي [يكافئوك][1] ولكن ادع المساكين والضعفاء والزمنى والمقعدين؛ فطوبى لك إذ ليس لهم ما يكافئونك به ومجازاتك تكون في قيامة الصديقين - ثم عَرَّض بالعلماء - فقال: جيدٌ هو الملح فإذا فسد فبماذا يملح)[2]. من كانت له أذنان سامعتان فليسمع هذه الوصية وما / شاكلها لم ١/٦٠/ تمتد إليها يد التغيير سوى ما عبق بها من قصر التعبير. وهي بطولها مندمجة في قوله عليه السلام«شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء»[3]. وقال عليه السلام: «من تواضع لله رفعه الله»[4]. وفي قوله «إنكم أئمة يقتدى بكم»[5]. يقول ذلك لأصحابه رضي الله عنهم.

اشتمال الجنة على الأكل والشرب والنكاح: /

وذلك على خلاف معتقد أهل الكتاب، قال المسيح عليه السلام: (كان رجل من الأغنياء يلبس [البز][6] والأرجوان[7] ويتنعم كل يوم ويلتذ، وكان ببابه رجل مسكين يسمى اليعازر مضروب بالقروح، وكانت الكلاب تأتي فتلعق قروحه ويود لو ملأ بطنه من الفتات الذي يسقط من مائدة ذلك الغنى، فلما مات ذلك المسكين أخذته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ومات ذلك

---

(١) في ص (يكافئونك) والصواب ما أثبته.

(٢) لوقا ١٤/ ٧ - ١٤، ٣٤، ٣٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢/ ١٠٥٥ عن أبي هريرة مرفوعا إلى النبي ﷺ، وأخرجه البخاري في كتاب النكاح باب (٧٢) (ر: فتح الباري ٩/ ٢٤٤) وأبو داود/ ١٢٥، وابن ماجه (ر: صحيح ابن ماجه ١/ ٣٢٣) موقوفا عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٠١، والترمذي ٤/ ٣٣٠، وأحمد ٢/ ٣٨٦، كلهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسو ل الله ﷺقال: . . . فذكره.

(٥) تقدم تخريجه ر: ص ١٠٤.

(٦) في ص (البرفية) والتصويب من نص الإنجيل.

(٧) لون صباغة يشمل البنفسجي والقرمزي أو الأحمر، وكانت ثياب الأرجوان غالية الثمن يلبسها الأغنياء وذوو المكانة الرفيعة. (ر: قاموس ص ٤٥).

الغني فقـر في الجحيم ففتح عينيه وهـو في العـذاب فنظر إلى اليعـازر في حضن إبراهيم يتنعم ويلتـذ فنادى: ياأبتـاه إبراهيم ارحمني وأرسل اليعـازر ليبل طرف إصبعـه بماء يبرد لسـاني من هذا / اللهيـب، فقال إبـراهيم: يـا بني اذكـر أنك أفنيت خيراتك في حياتك واليعازر إذ ذاك في بـلائه، والآن فهو ها هنا يستريح وأنت تعذب، ومع ذلك فبيننـا وبينكم هوة بعيدة لا يقدر أحـد منا على العبور إلى الآخر)[1]. ٦١/أ/١٠

قلت: قال الله فيمن حـاله بحال ذلك الغني﴿ **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الـدنيـا واستمتعتم بها فاليـوم تجزون عـذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون**﴾[2].

واعلم أن اليهـود والنصارى[3] ينكرون أن يكـون في الجنة طعـام أو نكاح أو شراب، وهذا الكـلام من المسيح حجة عليهـم، وقد قال المسيـح: (إن اليعازر هذا في كفـالة إبراهيم يتنعم ويلتـذ في الآخرة). كما قـال: (إن ذلك الغني كان كل يوم يتنعـم في دنياه ويلتذ). والـذي يبتدر إلى الأفهـام منه التنعم بـالطيبات المألوفة المعروفـة؛ إذ الإنسان إنما يشتاق لما عرف جنسه ونوعـه وقد جاء ذلك في

---

(١) لوقا ١٦/ ١٩ - ٢٦ بألفاظ متقاربة.

(٢) سورة الأحقاف: ٢٠.

(٣) قال الإمام ابن تيميـة: واليهود والنصارى والصابئون من المتفلسفـة وغيرهم فإنهم ينكرون أن يكون في الجنة أكل وشرب ولباس ونكاح ويمنعون وجود ما أخبر به القرآن.
والرد عليهم هو أن مـا ورد في القرآن الكريم من وصف ملذات الجنة أن حقيقتهـا ليست مماثلة لما في الدنيـا، بل بينهما تباين عظيـم مع التشابه في الأسماء، فنحـن نعلمها إذا خوطبنـا بتلك الأسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن لتلك الحقـائق خاصية لا ندركها في الـدنيا، ولا سبيل إلى إدراكنا لها لعدم إدراك عينهـا أو نظيرها من كل وجـه، وتلك الحقائق على مـاهي عليه (ر: رسالـة الإكليل من مجموعة الرسائل الكبرى - لابن تيمية ٢/ ١١).

الإنجيل [كثيراً][1] ولكن النصارى[2] محجوبون بالتقليد عن النظر في أقوال الأنبياء، قال لوقا: (قال يسوع: إذا صنعت وليمة فادع المساكين والضعفاء
١/٦١/ب لتكون / مجازاتك في قيامة الصديقين. فقال من حضر: طوبى لمن يأكل خبزا في ملكوت الله)[3].

وقال حملة الإنجيل: (قال يسوع لتلاميذه: إني ذاهب أعد لكم مائدتي في الملكوت [لتأكلوا وتشربوا وتجلسوا][4] على كراسي المجد)[5]. وقال الإنجيل: (إن المسيح شرب مع تلاميذه عصيرا ثم قال: إني لست شاربا من هذه الكرمة حتى أشربها معكم حديثا في ملكوت السماوات)[6]. وقال المسيح في الإنجيل (إنكم ستأكلون وتشربون على مائدة أبي)[7]. وقال المسيح في الإنجيل (بحق أقول لكم إنه سيأتي قوم من المشرق والمغرب [فيجلسون][8]. مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماء وتخرج بنو الملكوت إلى الظلمة البرانية، هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان)[9]. وقال المسيح في الإنجيل (طوبى

---

(١) في ص (كثير) والصواب ما أثبته.

(٢) يقول القسيس حنا مقار العيسوي في رسالته إلى أبي عبيدة الخزرجي: إننا إذا حشرنا يوم القيامة حشرنا بأجسادنا ونفوسنا ولكن لا نأكل هناك ولا نشرب. ا هـ. (ر: مقامع هامات الصلبان ص ١٠٦، للخزرجي، تحقيق د. محمد شامة).
ونقل ذلك عنهم ابن كمونة اليهودي في تنقيح الأبحاث ص ٥٣، وانظر أيضا خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - لحبيب جرجس ص ١٥٦ - ١٥٧، ويلاحظ أن ذلك الاعتقاد في أمور الآخرة يشبه اعتقاد الفلاسفة والملاحدة في ذلك مما يدل على تأثر اليهود والنصارى بالأفكار الوثنية الفلسفية.

(٣) لوقا ١٤/ ١٢ - ١٥.

(٤) في ص (لتأكلون وتشربون و تجلسون.) والصواب ما أثبته.

(٥) لوقا ٢٢/ ٢٩، ٣٠.

(٦) متى ٢٦/ ٢٩، مرقس ١٤/ ٢٥، لوقا ٢٢/ ١٨.

(٧) لوقا ٢٢/ ٣٠

(٨) في ص (فيتلون) والتصويب من نص الإنجيل.

(٩) متى ٨/ ١٠ - ١٢.

للجياع العطاش فإنهم يشبعون، طوبى للرحماء فإنهم يرحمون)[1].

فهذا المسيح يشهد أن في الجنة أكلا وشربا وشبعا وأن المساكين يتملكون ذلك وفي الإنجيل يقول المسيح: (بيعوا أمتعتكم وتصدقوا، اجعلوا لكم أكياسا لا تبلى وكنوزا في السماء لا تفنى حيث لا يصل إليها سارق ولا يفسدها/ سوس فحيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم معلقة)[2]. /٦٢/أ

وقال المسيح عليه السلام لأصحابه: (أنتم تقولون إن الحصاد يأتي بعد أربعة أشهر، وأنا أقول لكم ارفعوا أعينكم فانظروا إلى الكور قد ابيضت وبلغت الحصاد، والذي يحصد يأخذ الأجرة ويجمع ثمار الحياة الدائمة)[3].

وقال المسيح عليه السلام لتلاميذه: (اعملوا لا للطعام الفاني، بل للطعام الباقي في الحياة المؤبدة لأن ذلك قد ختمه الله)[4].

فقد ثبت عن المسيح اشتمال الجنة على الأكل من الطيبات والتنعم باللذات والتفكه في الشهوات.

فإن قيل: وأين ذكر الجماع في الجنة؟!

قلنا: قال المسيح عليه السلام في الإنجيل: (من ترك زوجة أو بنين أو حقلا من أجلي فإنه يعطى في الجنة مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة)[5].

فقد صرح المسيح بأن الرجل المؤمن يعطى في الجنة مائتي زوجة كما يعطى مائتي حقل. والحقل الكرم والبستان. وذلك مكذب للنصارى واليهود فيما صاروا إليه.

---

(١) متى ٥/ ٦ - ٧.
(٢) متى ٦/ ١٩ - ٢١، لوقا ١٢/ ٣٣، ٣٤.
(٣) يوحنا ٤/ ٣٥، ٣٦.
(٤) يوحنا ٦/ ٢٧.
(٥) متى ١٩/ ٢٥، مرقس ١٠/ ٢٩، ٣٠.

فإن قيل: هـذا فيـه الحجـة الـواضحـة على النصـارى، فما الحجـة فيـه على اليهود[1] مع إنكارهم/ شرع الإنجيل؟ ١/ ٦٢/ م

قلنـا: قـال الله تعـالى في السفـر الأول من التـوراة وهـو الذي يـدعى سفـر الخليقة: (إن اللـه غرس فـردوسا في جنـة عدن وأسكنـه آدم وغرس لـه من كل شجرة طيبة المأكل شهية الطعم وتقدم إليـه: إني قد جعلت كل شجر الجنة لك مأكلا سوى شجرة معرفـة الخير والشر، ثم قال الله سبحانه: لا يحسن أن يبقى آدم وحده. فألقى عليه سبـاتا ونزع ضلعا من أضلاعه ثم أخلف لـه عوضه لحما ثم خلق اللـه من ذلك الضلع حـواء فـزوجهـا آدم فلما أكـلا من الشجـرة التي [نُهيا][2] عنها انفتحت أعينهما وعرفـا أنهما عريانان فكلمهما اللـه وتوعدهما على المخـالفـة، ثم صنع سبحـانه لآدم وزوجتـه سرابيـلات من الجلـود فألبسهما ثم أرسلهما من جنة عدن وأهبطهما إلى الأرض ليحرث فيها)[3].

وقـال في السفـر الأول أيضاً: (كـانت سـدوم قبل أن يخسف اللـه بها تشبـه فردوس اللـه وأرض مصر)[4] وقال في السفـر الأول أيضاً: (أمـا هابيـل الشهيد فإنه يجزى بدل الواحد سبعة)[5].

(١) يقول ابن كمونة اليهودي في تنقيح الأبحاث ص ٢٧: واعتقدت اليهود أن ثواب الطاعة هو الخلود في نعيم الجنة والعـالم الآتي، وعقاب المعصيـة هو العذاب في جهنم من غير خلـود لمعتقد هـذه الشريعة وإن كـان عـاصيا. ومنهـم من اعتقد أن بعث الأمـوات يحصل مـرتين، مـرة في زمن المسيح المنتظـر عندهم وذلـك البعث مختص بالصالحين من الأمـة. . . وتارة يبعث الموتى في القيـامة العـامة لكـافة الناس، الصـالحين منهم والطالحين للجـزاء بالثـواب الأبدي على الطاعـة وبالعقـاب على المعصية، واعتقـدوا أيضا بقـاء الأنفس بعد فسـاد الأجساد، وأنها لا تعـدم أبدا، ونبغ منهم من زعم أن العـالم الآتي هـو ما بعـد الموت فقط، وأن الثـواب الأبـدي والعقاب إنما هـو لـلأنفس المجـردة بعد خـراب أجسـادها، وليسـا بجسمانيين بل هما روحـانيـان فحسب، والنصوص الكثيرة المنقـولـة عن علمائهم وحملـة شرعهم ناطقـة بـالمجازاة بـالثواب والعقـاب بغير عـود الأنفس إلى الأبدان، وهي غير محتملـة التأويل عند كل عاقل يتأملها جميعا. اهـ. بتلخيص.

(٢) في ص (نهي) والصواب ما أثبته.

(٣) سفر التكوين الإصحاح الثاني والثالث.

(٤) سفر التكوين ١٣/ ١٠.

(٥) سفر التكوين ٤/ ١٥.

وهذا دليل أن الجزاء من جنس المنفق في الدنيا تقرباً / إلى الله، فإن هابيل ١/ ٦٣/ أ كان قد قرب من أبكار غنمه فتقبله الله منه ووعده الجزاء على الواحد سبعة.

فهذه التوارة والإنجيل مصرحة بموافقة الكتاب العزيز، وبذلك تتم اللذة وتجتمع المسرة وتحصل الدعة، فمن أعظم جرما وأشد إثما وأثقل وزرا وأضعف أزرا ممن يقرأ هذه النصوص من التوراة والإنجيل ثم يكفر بها ويردها؟!

ولو أن اليهود والنصارى إذ حرموا لذة الاستنباط والاستخراج قلدوا أنبياء الله في ذلك لأخذوا بحظهم من الخير، فقد قال النبي أشعيا في نبوته: (يا معشر العطاش الجياع توجهوا إلى الماء والورود ومن ليس له فضة فليذهب يمتار ويستقي ويأكل ويتزود من الخمر واللبن بلا فضة ولا ثمن)(١).

قلت: وذلك موافق لقول الله تعالى في الكتاب العزيز في وصف الجنة.. ﴿**فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات**﴾(٢).

وقال دانيال عليه السلام: (سيبعث من الأجداث قوم كثير بعضهم إلى الحياة الدائمة وبعضهم إلى البوار)(٣).

وقال / داود: (الله باعثهم وناشرهم من بين أنياب السباع ومن لجج ١/ ٦٣/ ب البحار)(٤). وقال أيضا في المزمور الخامس والثلاثين: (يا رب البشر بظلال بيتك يسترون ومن نعيم بيتك يشبعون ومن وادي نعمك يترعون، لأن ينبوع

---

(١) سفر أشعياء ٥٥/ ١.

(٢) سورة محمد: ١٥.

(٣) سفر دانيال ١٢/ ٢.

(٤) ورد معنى النص في مزمور ٩٦/ ١٠ - ١٣.

الحياة عندك)[1]، وقال في [المزمور][2] الثمانين: (لو سمع مني شعبي وسلك سبلي لأذللت أعلاه ومحوت سيئاته وأطعمته من طيباتي)[3].

وقال في المزمور الرابع والعشرين والمائة: (المتوكلون على الله مثل جبل صهيون الذي بأورشليم لا يزول إلى الأبد. والذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح كانوا ينطلقون باكين ويقبلون بالتهليل وقد حملوا غلاتهم)[4].

فهذه نبوات أنبياء بني إسرائيل والتوراة والإنجيل قد تظاهرت وتضافرت[5] بما نطق به الكتاب العزيز من اشتمال دار الثواب على الطعام والنكاح والشراب.

فإن قال اليهود: ما حكيته عن التوراة من الجنة محمول على بستان من بساتين الدنيا ولا ينكر تسمية الجنة بستانا، والبستان جنة.

١/٦٤/أ قلنا: يا إخوان القرود ومشاركي ثمود إنما قالت التوراة: إن الله/ أسكن آدم فردوسا في جنة عدن وجعل فيه من كل شجرة طيبة المأكل وقال لآدم: جعلت لك كل شجر الجنة مأكلا. والله تعالى يقول إنه فردوس في الجنة وأنتم تقولون: بل بستان وحديقة في الدنيا، ألم تسمعوا إلى قوله في بقية الكلام إن الله كلمهما وتهددهما ثم صنع لهما سرابيلات من الجلود وأرسلهما من جنة عدن إلى الأرض التي أخذ منها آدم وأهبطهما للحرث؟!

---

(١) مزمور ٣٦/ ٧-٩.

(٢) في ص (مزمور) والتصويب من المحقق.

(٣) مزمور ٨١/ ١٣ - ١٦ وهو منسوب إلى إمام المغنين (آساف).

(٤) مزمور ١٢٥/ ١-٢، ١٣٦/ ٥، ٦.

(٥) في ص: تطافرت.

وإن تعلق النصارى بقول أسلافهم: إن أهل الجنة لا يتزوجون[1]، قلنا لهم: يا عباد الرجال وربات الحجال، لو قدرنا صحة ما نقلتموه عن أسلافكم من ورود هذا اللفظ بعينه لم يلزم نفي ما صرنا إليه من التنعم بالنسوان في الجنان، اذ يحتمل أن يراد به أنهم لا يتزوجون الزواج المعروف المألوف من قاعدة النكاح والزواج الدنيوي وهو تقدم الخطبة وبذل الصداق والعقد والشروط وغير ذلك مما فيه حرج وكلف على الناكح، بل يمنحون ذلك ويتملكونه ويرثونه وراثة وتملكا والدليل عليه من الإنجيل قول المسيح: (من ترك زوجة من أجلي في الدنيا فإنه/ يعطى مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة)[2]. وفي ذلك موافقة الكتاب العزيز حيث يقول ﴿**وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾[3] ولفظة الميراث كثيرة مستعملة في الإنجيل والتنزيل، ولهذا شمر كثير من أتباع المسيح في طلب هذا التضعيف فترهبنوا وانقطعوا عن النساء والشواغل، فإذاً قولكم: إن أهل الجنة لا يتزوجون منافاة بينه وبين قوله في الإنجيل: (من ترك زوجة فإنه يعطى للواحد مائة ضعف). والأصل المعتبر عند أرباب النظر الجمع بين الأدلة، لا تعطيل بعضها واستعمال بعض؛ فقد ثبت - بعون الله ومنه - ما ١/ ٦٤/ ب

---

(١) يستدل النصارى على ذلك بما ورد في إنجيل متى ٢٢/ ٢٢ - ٣٠، ومرقس ١٢/ ١٨ - ٢٥، لوقا ٢٠/ ٢٧ - ٣٥، (حين جاء إلى المسيح صدوقيون — وهم فرقة من اليهود - يسألونه عن إمرأة تزوجت بسبعة أزواج واحدا تلو الآخر فلمن من السبعة تكون زوجة له في يوم القيامة؟
فقال المسيح: تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء). وهذا النص لا نسلم بصحته ونجزم بتحريفه وكذب ناقله، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد بشروا المؤمنين بالجنة وما فيها من الملذات والنعيم.

(٢) ورد النص في إنجيل متى ١٩/ ٢٩، ، كالآتي: (فقال لهم يسوع: . . وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولاداً أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية). وبنحوه ورد في إنجيل مرقس ١٠/ ٣٠.

(٣) سورة الزخرف: ٧٢.

ضمناه من اشتمال الجنة على الملاذ الروحانية والجسمانية جميعاً[1].

لزوم الاستقامة خوف هجوم القيامة: / (قال المسيح - يشبه ملكوت الله - : عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العروس، خمس منهم ١/٦٥/ جاهلات وخمس حكيمات، فأما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يعددن زيتاً، وأما الحكيمات فأعددن الزيت مع مصابيحهن، فلما أبطأ العروس نعسن ونمن أجمع وانتصف الليل وصرخ الصوت: قد جاء العروس فاخرجن للقائه. فقام الحكيمات وزيَّتن مصابيحهن فقال الجاهلات للحكيمات: أعطونا من زيتكن فإن مصابيحنا قد طفئت. فقلن: ليس معنا ما يكفينا وإياكن فاذهبن وابتعن لكن زيتا. فلما ذهبن لذلك جاء العروس ودخل مع المستعدات إلى العرس وأغلق الباب، وجاء الجاهلات فقلن: يا رب يا رب. فقال: الحق أقول لكن إني لست أعرفكن، ثم قال لتلاميذه: اسهروا الآن وصلوا فإنكم لا

---

(١) ونؤكد ما ذكره المؤلف من الأدلة في إثبات البعث الجسماني والتنعم بالملذات من الأكل والنكاح واللباس وغيره - بذكر دليل سمعي وآخر عقلي - كالآتي:

أما الأول: وهو الذي نعتمد عليه - أن السمع قد قام على أن الله عز وجل خلق الأشياء واخترعها مبتدعا لها لا من شيء ولا على أصل متقدم، وإذ هو كذلك فلا متوهم يتعذر عليه إذ ما شاء كان. وقد أخبرنا رسول الله ﷺ الذي قامت به الدلائل الضرورية على صحة نبوته وأنه عن الله عز وجل يخبرنا أن الأكل والشرب والنكاح واللباس هنالك، وهذا قبل أن يخبر به الصادق الأمين ﷺ داخل في حد الممكن، ثم قام دليل على صحته فصار في حد الواجب.

وأما الدليل العقلي: فإن الله تعالى خلق جواهرنا وطباعنا تلتذ بالمأكل والمشرب والروائح والملابس والأصوات الموافقة لجوهرنا والوطء، وقد علمنا أن النفس هي الملتذة بذلك، وأن هذه الحواس الجسدية هي الموصلة لهذه الملاذ إلى النفس، فهذه طبيعة جواهر أنفسنا التي لا سبيل في وجودها دونها، فإذا جمع الله عز وجل يوم القيامة في دار الجزاء بين أجسادنا بعد تصفيتها من كل كدر وبين أنفسنا عادت الطبيعة كما كانت فجوزيت هنالك ونعمت بملاذها وبما تستدعيه طباعها التي لم توجد قط إلا لذلك، إلا أن ذلك الطعام غير معانى بنار ولا ذو آفات ولا مستحيل كما أخبرنا تعالى ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾. (ر: الأصول والفروع ص ٧٨ لابن حزم. مقامع هامات الصلبان ص ٢٨٠، ٢٨١ للخزرجي باختصار).

تعرفون ذلك اليوم ولا تلك الساعة)[1].

قلت: قال ربنا جل اسمه ﴿**يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرَّتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور**﴾[2].

٦٥/ب انظر ــ رحمك الله ــ إلى هذا الكلام الرفيع القدر، الطيب النشر، الحسن البشر، وقسه بفصل العذارى العشر لتعلم / قدر ما أوتيت الأمة المحمدية، وتقف على سِرِّ قوله عليه السلام: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية»[3].

٢٧- شهادة يوحنا الإنجيلي للمسيح عليه السلام بالنبوة: وفي ذلك تكذيب للمتأخرين من النصارى في دعوى ربوبيته؛ قال يوحنا تلميذ المسيح وحبيبه وهو أحد مدوني الإنجيل: (لما أطعم يسوع خمسة [آلاف][4] رجل من خمسة أرغفة وحوتين من السمك قال الناس: حقا إن هذا لهو النبي الآتي إلى العالم. فلما علم أنهم يريدون يخطفونه ويصيرونه ملكا عليهم خرج من بينهم وذهب وحده إلى الجليل)[5].

فهؤلاء خمسة آلاف رجل ممن شاهد المسيح يشهدون له بالنبوة وهو مقرهم على شهادتهم، حاكم بصحة إيمانهم، راض بهذا المعتقد منهم. ولو أنكر عليهم قولهم لنقل إلينا كما نقلت منهياته وأوامره على ما سيأتي، وما أحسن إلها يخاف من العبيد أن [يخطفوه ويصيروه ملكا عليهم ويغلبوه][6] على رأيه في ذلك!!

---

(١) متى ٢٥/ ١ - ١٣.
(٢) سورة الحديد ١٣، ١٤.
(٣) تقدم تخريجه ص ١٠٤.
(٤) في ص (ألف)، والتصويب من النص.
(٥) يوحنا ٦/ ١٠ - ١٥.
(٦) في ص (يخطفونه ويصيرونه... ويغلبونه) والصواب ما أثبته.

وقد نقلوا عن لوقا أن جبريل حين بشر مريم أم المسيح بالناصرة قال لها : إن
١/٦٦/أ ولدك يجلسه الرب على كرسي / أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب(١) .

فإن كان ما حكوه عن لوقا عن جبريل صحيحا فقد كذبوا في هربه من التمليك عليهم ، وإن كان ما نقلوه هاهنا في الهرب صحيحا فقد كذبوا في نقلهم عن لوقا عن جبريل ، وإلا فكيف يتقدم الله إليه على لسان جبريل بسياسة عباده والتملك عليهم ثم يأبى ذلك ويخالف أمره وينكص عنه فلا يمتثله؟!

هذا مما يورّك فيه على النقلة وبهذا الاضطراب وشبهه رد العلماء كتب هؤلاء القوم وأضربوا عن الاحتفال بها ، فإن شغب النصارى بذكر هذه الآية أعدنا عليهم آية موسى وقلنا : قد نقلنا من التوراة أن موسى أطعم قومه وهم ستمائة ألف رجل سوى الصبيان والنسوان والغرباء مَنًّا وسلوى وأدامه عليهم(٢) ، ومن صنع خيرا كثيرا وأدامه أفضل بلا شك ممن صنع قليلا منه وقطعه .

وبالجملة فآيات الأنبياء ليست نمطا واحدا ؛ إذ المقصود منها الإعجاز.

١/٦٦/ب ٢٨- معجزة دالة على صدق نبوته عليه السلام / قال يوحنا التلميذ : (دعي المسيح إلى عرس في الجليل ففرغ الخمر الذي لهم ، فقالت أم يسوع : ليس للقوم خمر ثم قالت للخدام : افعلوا ما يأمركم به يسوع ، وكان هناك أوعية من حجارة لتطهير اليهود فأمرهم يسوع فملأوها ماء ثم أمرهم فسقوا الناس منها خمرا طيبة . قال يوحنا : هذه أول آية أظهرها المسيح بقانا الجليل)(٣) .

---

(١) لوقا ١/ ٣٢، ٣٣ .
(٢) ورد ذلك في سفر الخروج الإصحاح (١٦) .
(٣) يوحنا ٢/ ١ -١١ .

فإن قال النصارى: بذلك نستدل على ربوبيته إذ قلب الأعيان ليس من مقدور البشر، فالجواب أن المستبد بالخلق والاختراع هو الله الذي لا إله غيره الفرد القديم الواحد العالم القادر الحكيم خالق العالم بما فيه من الأجسام والأعراض، وليس في تحويل الماء خمرا سوى تبديل عرض بعرض؛ إذ لا يخلو الجوهر عن عرض إلا ويخلفه ضده، فتارة يكون ذلك الضد مناسبا، وتارة يكون مخالفا، وذلك كله ممكن والله تعالى متصف بالقدرة على كل ممكن، وقد دللنا على عبودية المسيح في الباب الأول / وفي ذلك ما يرد هذا السؤال، /٦٧أ والمعجز في الحقيقة خالق العجز وهو الله عز وجل، وصدروه على يد عبد من عبيد الله يدعي أن الله أرسله يتنزل منزلة قول الله تعالى (صدق عبدي).

ونحن نناقش النصارى على ذلك فنقول:

أولاً: لا نسلم أن هذه المعجزة لعيسى بل هي لمريم أمه بدليل أنها التي اقترحتها وطلبتها. ألا تراها كيف تقدمت للخدام وقالت: افعلوا ما يأمركم به يسوع، وذلك من غير مؤامرته؟

وقد حكى بعض العلماء من أصحابنا في نبوة مريم قولين، فإن كانت نبية فهذه معجزة لها، وإلا فهي كرامة في حق ولايتها[1]، والكرامة صورتها صورة

---

(١) اختلف العلماء في مسألة جواز نبوة النساء مطلقاً على أقوال هي:

أ- ذهب بعضهم إلى جواز نبوة النساء واتفقوا على نبوة مريم واختلفوا في حواء وسارة وهاجر وأم موسى، ومن هؤلاء العلماء ابن حزم (ر: الفصل في الملل والنحل ٥/ ١١٩ - ١٢١) والقرطبي وتبعهم بعض العلماء.

ب- وذهب بعضهم إلى التوقف في المسألة؛ فقد نقل عن السبكي الكبير أنه قال: لم يصح عندي في هذه المسألة شيء. (ر: فتح الباري ٦/ ٤٧١، ٤٧٤).

جـ- وذهب الجمهور إلى عدم جواز نبوة النساء، وأن النبوة خاصة بالرجال. قاله القاضي عياض، ونقل النووي وابن تيمية الإجماع على ذلك عن غير واحد مثل القاضيين أبي بكر بن الطيب وأبي يعلى وابن أبي الفراء، والأستاذ أبي المعالي الجويني وغيرهم. (ر: فتح الباري ٦/ ٤٧١، ٤٧٣)، قصص الأنبياء ص ٤٨٣ لابن كثير، الجواب الصحيح ١/ ٣٣١ ابن تيمية) واستدلوا على ذلك ==

المعجزة وإنما يفترقان في التحدي على رأي بعضهم، قال الله تعالى في حق مريم أم المسيح ﴿**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنَّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾(١).

ولا يستنكر من أصحابنا القول بنبوة مريم؛ فأهل الكتاب يعتقدون نبوة جماعة من النسوان منهم مريم أخت موسى(٢) وخُلدى(٣) وأستار(٤)

== بقوله تعالى ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم . . .**﴾ سورة النحل: ٤٣، وبقوله تعالى ﴿**ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة**﴾ سورة المائدة: ٥٧، فجعل غاية مريم الصديقية كما جعل غاية المسيح الرسالة.

وذكروا لذلك حِكماً، منها: أن النبوة عبء ثقيل لا تتحمله طبيعة المرأة الضعيفة، ولأن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع، ولعلو مرتبة الذكورة على الأنوثة فلذلك جعل الله القوامة للرجال على النساء، والنبوة تقتضي قوامة النبي على من يتابعه، ولأن المرأة يطرأ عليها بحكم طبيعتها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والاتصال بالملأ الأعلى كالحيض والحمل والولادة ونحوه، ولكون النفوس مائلة في ذواتهن بحسب الطبع فيغفلون عن مقالهن، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها. كما ناقش الجمهور أدلة المخالفين بردود قوية (ر: للتوسع: قصص الأنبياء ص ٤٨٢ - ٤٨٦ للإمام ابن كثير، لوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٦٥، ٢٦٦ للسفاريني، الرسل والرسالات ص ٨٤ - ٨٩ د. عمر الأشقر).

(١) سورة آل عمران: ٣٧.

(٢) ورد نسبة النبوة إلى مريم أخت موسى وهارون في التوراة المحرفة في سفر الخروج ١٥/ ٢٠ وقد تقدمت ترجمتها ص١٧٦.

(٣) خلدة: يذكر عنها قاموس الكتاب ص ٣٤٤: أن اسمها عبري معناه (ابن عرس) وهي امرأة شالوم، وهي نبية شهيرة سكنت القسم الثاني من أورشليم في عهد الملك يوشيا، وتنبأت عن خراب أورشليم. (ر أيضا: سفر الملوك الثاني إصحاح (٢٢) وسفر أخبار الأيام الثاني إصحاح (٣٤)).

(٤) أستير: معناه في الفارسية (كوكب) واسمها في العبرية هدسة أي (شجرة الآس) وهي امرأة يهودية جميلة اتخذها ملك الفرس زوجة له، وقد لعبت دورا مهماً في إنقاذ اليهود من مكيدة دبرها وزير الملك للقضاء عليهم يوم الثالث عشر من آذار، وقد استطاعت أن تستصدر أمرا من الملك بالقضاء على وزيره بعد اتهامه بالخيانة ضد الملك، وقتلت أكثر من سبعين ألفا من الفرس أتباع الوزير في اليوم المحدد السابق لقتل اليهود فيه، ولذلك اتخذ اليهود يوم الرابع عشر من آذار عيدا لهم إلى يومنا هذا تخليدا لذكراها، ولا يعرف شيء عن موت أستير وتاريخه.

وينسب إليها سفر باسمها (سفر أستير) عدد إصحاحاته (١٠) إصحاحات ضمن أسفار الوحي القانونية، وله مكانة خاصة ممتازة عند اليهود (ر: سفرأستير، وقاموس الكتاب ص ٦٣ - ٦٦).

ورفقى[1]، وقد زعموا أنه كان لفولس[2] / الرسول من أتباع المسيح بعد ١/٦٧/ب المسيح أربع بنات كلهن نبيات[3].

ولو سلمنا أن الآية مضافة إلى المسيح وفي حقه فهي آية تدل على صدقه والله يؤيد من يشاء لإرشاد خلقه، ولو جاز أن يدعى في المسيح الربوبية بتحويل الماء خمراً لجاز أن يدَّعى ذلك في اليسع بتحويله زيتا فقد جاء في سفر الملوك من كتب أهل الكتاب (أن اليسع عليه السلام نزل بامرأة من بني اسرائيل فأضافته وأكرمته فلما عزم على الانصراف قال لها: هل لك من حاجة؟ قالت: يا نبي الله إن على زوجي دينا قد فدحه وان رأيت أن [تدعو][4] الله تعالى لنا بقضاء ديننا. فقال لها اليسع: أحضريني ما عندك من الأواني واستعيري من جيرانك ما قدرت عليه من الآنية. ففعلت ذلك فأمرها فملأتها كلها ماء ثم قال: اتركيها ليلتك هذه. وتركها ومضى فأصبحت المرأة وقد تحوَّل ذلك كله زيتا فباعوه وقضوا دينهم)[5] فهذه الآية أعجب وأغرب. ولم ينقل أن اليسع امتهن

---

(١) رفقة: اسم عبري ربما كان معناه (رباط أو حبل قيد) وهي ابنة بتوئيل، وزوجة إسحاق وأم يعقوب عليهما السلام - وينسبون إليها زورا وبهتانا في التوراة المحرفة أنها دبرت حيلة ليعقوب لينال البركة والنبوة من أبيه إسحاق بدلا من أخيه الأكبر عيسو - وقد ماتت رفقة قبل إسحاق ودفنت في مغارة المكفيلة عند قبر إبراهيم عليه السلام، ولم يذكر أنها كانت نبية. (ر: سفر التكوين إصحاح ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٤٩، قاموس الكتاب ص ٤٠٨).

(٢) الصواب أنه فيلبس المبشر: أحد السبعة المرسومين شماسة في كنيسة أورشليم، وقد كرس نفسه بعد الاضطهاد للتبشير وخاصة في السامرة، وقد كان له أربع بنات عذارى يتنبأن (ر: أعمال الرسل ٢١/٨، ٩) وقد استقر فيلبس بقيصرية، وصار أسقف تراليس. (ر: سفر أعمال الرسل إصحاح ٦، ٨، ٢١، وقاموس الكتاب ص ٧٠٢).

(٣) ذكر قاموس الكتاب المقدس ص ٩٥٢ أن الإناث من الأنبياء - حسب اعتقاد أهل الكتاب - في الكتاب المقدس هن: ١- مريم أخت موسى وهارون. ٢- دبورة. ٣- حنة أم صموئيل.
٤- خلدة امرأة شلوم، ٥- حنة بنت فنوئيل. ٦- بنات فيلبس الأربع، ولم يذكر الكتاب نبية غيرهن إلا أنه ذكر وجود نبيات كاذبات وحذر منهن مثل نوغدية وإيزابيل. اهـ.

(٤) في ص: تدعوا، والتصويب من الحقق.

(٥) سفر الملوك الثاني ٤/١ - ٧.

وغلب وقتل وصلب ، بل لم يزل / آمنا في سِرْبه [1] إلى أن لحق بالله ربه . ١/٦٨/أ

ولقد فعل موسى ما هو أعجب من ذلك كله وهو (أنه ضرب بعصاه بحر النيل بمصر فتحوَّل الماء بسائر أرض مصر دماً عبيطاً)[2]، وكذلك (ألقى عصاه بين عصي بني إسرائيل فاهتزت شجرة ذات أغصان وأفنان وأورقت وأثمرت لوزا، فبينا هي خشبة إذ صارت شجرة خضراء مثمرة)[3]. فبطل ما عوَّل النصارى عليه، فما أجابوا به عن آيتي موسى واليسع فهو جواب لنا عن آية المسيح .

وقد صرح فولس في الرسالة الرابعة عشرة إلى العبرانيين بأن المسيح ليس ربا ولا إلها بل إنه عبد من عباد الله ، شرفه الله كما شرف غيره من أنبيائه وأهل صفوته فقال : (إن المسيح هو رئيس أحبارنا وهو الذي صعد إلى السماء وليس لنا رئيس أحبار غيره، ثم قال : إن كل رئيس أحبار إنما يكون من الناس ليقوموا فيما بين الناس وبين الله، وليس أحد ينال الكرامة لنفسه إلا من أناله الله مثل هارون، وكذلك المسيح لم يمدح نفسه، بل الله الذي مدحه حيث يقول : أقسم الرب بأنك أنت الكاهن المؤيد شبه / ملكي صادق)[4]. ١/٦٨/ب

فهذا فولس - الذي ليس عند النصارى من يعدله - يشهد بأن المسيح إنسان من بني آدم [وحَبْرٌ][5] من أحبارهم كهارون .

٢٩- دليل صحيح على نبوته : قال يوحنا الإنجيلي : (جاء يسوع إلى بئر من آبار السامرة مستسقيا ماء وقد عيي من تعب الطريق ففاوضته امرأة منهم

---

(١) السرب : النفس، يقال : فلان آمن في سربه أي في نفسه . (ر: مختار الصحاح ص ٢٩٣).
(٢) سفر الخروج ٧/ ١٤ - ٢١ .
(٣) تقدم تخريجها ر: ص ٨٤ .
(٤) الرسالة إلى العبرانيين ٤/ ١٤ - ١٦، ٥/ ١ - ١٠ .
(٥) في ص (حبرا) والصواب ما أثبته .

فقالت: ياسيد إني أرى أنك نبي. فقال لها يسوع: أنا هو الذي أكلمك. ثم وافاه تلاميذه فعرضوا عليه طعاماً، فقال: إن لي طعاماً لستم تعرفونه، إن طعامي أن أعمل مَسَرَّة من أرسلني، وأتم عمله. ثم بعد يومين خرج من هناك لأنه شهد أن النبي لا يكرم في مدينته)[1].

وجه الدلالة على النبوة والرسالة من وجوه: أحدها ـ قولها له: (ياسيد إني أرى أنك نبي)، فصدقها وحقق ظنها، فقال لها: أنا هو، وهذا واضح.

- الثاني - قوله: (إن لي طعاماً لستم تعرفونه)، يعني بذلك اللذات الروحانية الحاصلة من المناجات والمكالمة.

- الثالث - قوله: (أعمل مسرة من أرسلني)، كَنَّى / بالمسرة عن ١/٦٩/١أ المحبة، وإن كان الباري لا يتصف بالمسرة، وذلك من سوء تعبيرهم، وعَرَّف بأنه رسول مأمور بإتمام العمل ولزوم الطاعة، والنبي وغيره شرع في الشرع إلا ما قام الدليل على تخصيصه به.

قال المؤلف عفا الله عنه: من وقف على هذه الفصول الشاهدة بالنبوة والرسالة، وشاهد ما كفيته من مؤنة استخراجها من أيدي الضانين بها، الكاتمين لها؛ ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نوره، فليخصصني بدعوة صالحة تكون زادي لمعادي، ويتعين عليه إظهار ذلك للمسلم والكافر، أما المسلم ليقف على مصداق قوله تعالى في حق المسيح ﴿. . **وجعلني نبيا**. .﴾[2]، وقوله ﴿. . **ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾[3]. وأما الكافر فحتى تظهر عليه الحجة، ويتضح المحجة؛ وأنذر

---

(١) يوحنا ٤/ ٥ - ٤٤ في سياق طويل وقد اختصره المؤلف.

(٢) «قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا» سورة مريم: ٣٠.

(٣) سورة المائدة: ٧٥.

مـن بسطت يداه في دنياه، وأهمته العناية بأخراه أن يجمع من وجوه هذه الطائفة الـزائغـة جمعـاً كثيفـاً، ويحضر إنجيلهم ويقـررهم بهذه الفصـول على النبـوة والعبودية، ليهلك من هلك / عن بَيِّنة ويحيى من حَيَّ عن بينة. ١/٦٩/ب

وأما قـول يوحنـا (وقد عَيِيَ يسـوع من تعب الطريق)، فـدليل على الحدث، ظاهـر لمن له ناظـر. وليت شعري كيف يعتقد ربـوبية رجل ذي رأس وعينين، وقذال[1] وأذنين، وفم ولسـان وكف وبنان، يأكل ويشرب، ويعيـا ويتعب، ويهان ويضرب، ويقتل في زعمه ويصلب؟!

على أَنَّـا نسأل النصارى فنقـول: من هـو هذا الـذي عطش وعيي من تعب الطريق؟! فإن قالـوا: هو اللاهوت، أكذبتهم التوراة إذ تقـول: (إن الله خالق العالم بأسره ومامسه إعياء ولا تعب)[2].

وإن قـالـوا: هـو الناسـوت، أبطلـوا الاتحاد، إذ لم يبق لاهـوت متميـز عن نـاسوت حتى يضـاف إليه الإعيـاء والتعب، وإذا كان الإلـه منزهـاً عن التعب والإعياء وقد تعب المسيح وعيي، فذلك دليل على كـذب النصارى فيما هذوا به من الاتحاد، اللهم إلا أن يفسروا الاتحاد بما ظهـر على يـده مـن آيـات الإلـه من إحيـاء الميت وتطهير الأبـرص وغير ذلك، فيقـودهم القـول بـذلك الى مسـاواة المسيح / غيره، ويصير لا خصـوصيـة لـه بهذا الاتحاد. فـإن رامـوا تفـرقـة بين ١/٧٠/ المسيح وبين غيره ممن أحيـا الميت وطهـر الأبـرص وفعل أضعـاف فعل المسيح لم يقدروا على ذلك، وقـد حكى لوقا في إنجيله (أن رجـلاً من الفريسين طلب إلى يسوع أن يـأكل عنده خبـزاً، فلما دخل بيته حضرت إليـه امرأة خاطئـة، وصبَّت

(١) القَـذَال: جماع مؤخـر الـرأس، ويكون من الفـرس معقـد العذار خلف النـاصيـة، والجمع (أَقذِلَـة وقُذُل). (ر: المصباح المنير ص ٤٩٥).

(٢) ورد النص في سفر أشعيـاء ٤٠/ ٢٨ كالآتي (إله الدهـر الرب خالق أطـراف الأرض لا يكل ولا يعيا) فلعل مراد المؤلف في نسبـة النص إلى التوراة أي جنس الكتب القديمة المتقـدمة على الإنجيل، وذلك من إطلاق اسم الجزء على الكل.

على رجليه قارورة طيب، وبكت عند قدميه حتى بَلَّتهما بدموعها، وجعلت تمسح قدميه بالطيب وبشعر رأسها، فقال الفريسي في نفسه: لو كان هذا نبياً لعرف أن هذه المرأة خاطئة. فأجابه يسوع عما هجس في نفسه)[1].

٣٠- الدليل على رسالته من قوله واعترافه بأن الله غيره وأنه رسول الله إلى عباده: قال يوحنا التلميذ: (لما انتصف العيد حضر يسوع إلى الهيكل وشرع يعلم، فقال اليهود: كيف يحسن هذا التعليم؟ فقال: تعليمي ليس هو لي بل للذي أرسلني، فمن عمل بطاعته فهو يعرف تعليمي، هل هو من عندي أم من عند الله؟ إن من يتكلم من عند نفسه إنما يريد مجد نفسه فأما من يريد مجد / من أرسله فهو صادق فعلام تريدون قتلي؟ فقال الجمع: لأنك شيطان. ١/ ٧٠/ب فقال لهم: تزعمون أن موسى عَلَّمكم الختان وليس الختان من موسى ولكنه من الآباء (وقد يختنون الإنسان ومن الختان يهلك الإنسان كيلا تنقضوا سنة موسى)[2]، فعلام تنقمون عليَّ إبرائي الإنسان يوم السبت، ثم قال: إني لم آت من عندي ولكن الذي أرسلني محق، ولستم تعرفونه وأنا الذي أعرفه، وهو أرسلني. فَهَمَّ اليهود بأخذه ولم يقدروا؛ لأن ساعته لم تحضر بعد)[3].

فقد وضحت رسالته من الله إلى الناس وضوح الصبح لذي عينين، ولولا تعاسة الجِد[4] لما اشتبه الخالق بمخلوق، ولا قوبلت حقوقه بالعقوق.

فأما موضع التحريف من هذا الفصل: فهو قوله (ليس الختان من موسى ولكنه من الآباء) وذلك غير صحيح؛ لأن التوراة قد أوجبت الختان، وجعلته

---

(١) لوقا ٧/ ٣٦ - ٥٠ في سياق ذكره المؤلف مختصراً.

(٢) ورد النص في إنجيل يوحنا ٧/ ٢٢، ٢٣ كالآتي (ففي السبت تختنون الإنسان، فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لئلا ينقض ناموس موسى..).

(٣) يوحنا ٧/ ١٤ - ٣٠.

(٤) (الجد) في الأمر الاجتهاد، وهو مصدر يقال منه: جَدَّ يجدَّ والاسم الجِدُّ. (ر: المصباح ص ٩٢).

من شرائع الإيمان، فقال الله فيها: (اختنوا لحم غرلتكم أنت وبنوك ورقيقك والساكن عندك الذي أقبل إليَّ، واجعلوا ذلك ميسماً لي في أجسادكم، فمن لم يفعل ذلك فليقتل بما أبطل من عهدي)[1] والتوراة تشهد أن إبراهيم أمره / الله ١/ ٧١/ فاختتن بعد ما كبرت سنه وختن بنيه وعبيده[2]، واختتن موسى وهارون والمسيح[3] [وحواريوه][4] وتلاميذه، والدليل على ثبج[5] هذا النقل واضطرابه قوله بعد ذلك (كيلا تنقضوا سنة موسى)، سمَّى الختان سنة موسى بعد قوله: وليس الختان من موسى، ولم يزل أتباع المسيح يختنون ويستنون بسنة الأنبياء في الختان حتى جاء رجل من المتأخرين يدعى فولس، هو الذي يسمونه فولوس الرسول، فادعى أن المسيح ترآءى له، وأرسله إلى أهل دينه، فأحلَّ لهم فولس أشياء، وحلهم مما كانوا مرتبطين به من أقوال موسى والمسيح[6]، فكان مما حلهم منه سنة الختان التي شرعها الأنبياء عليهم السلام فراجعوه في ذلك،

---

(١) سفر التكوين ١٧/ ٩ - ١٤ .

(٢) سفر التكوين ١٧/ ٢٣ - ٢٧ .

(٣) جاء النص بختان المسيح في إنجيل لوقا ٢/ ٢١ .

(٤) في ص (وحواريه) والصواب ما أثبته .

(٥) الثبج: وسط الشيء ومعظمه، واضطراب الكلام وتفنيه وتعمية الخط وترك بيانه (ر: القاموس ص ٢٣٣).

(٦) إن الختان من الشعائر المعروفة في اليهودية: وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام، ، وكان فرضا دينيا عند اليهود، وفي بكور العصر المسيحي زعم فريق من اليهود المتنصرين أن حفظ تلك السنة ضروري للخلاص، ولهذا قال بولس: لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة. (رسالته إلى غلاطية ٦/ ١٥)، (ر: قاموس ص ٣٣٧، ٣٣٨ بتخليص) ويفهم من سفر الأعمال الرسل الإصحاح (١٥) بأن الحواريين قد عقدوا مايسمى بـ (مجمع أورشليم) بطلب من بولس- الذي كان أول من دعا إلى ترك الختان، وعدم اتباع عادات بني إسرائيل- وبرنابا وغيرهم في النظر في مسألة الوثنيين الذين دخلوا في المسيحية ويرفضون الختان، وقرر الحواريون السماح للوثنيين في الدخول في المسيحية دون شرط الختان - الذي لم ينسخ نسخًا باتاً - اعتباراً منهم على أن ذلك سيكون خطوة أولى إلى التمسك الكامل بأحكام المسيحية .

فقال لهم فولس هذا المدعي رسالة المسيح : (إن الختان ليس بشيء ، وإن الغرلة ليس بشيء)[1] ، فأطبق الملكية[2] على ترك الختان ، وتربص بقية طوائف بها فلم يتجاسروا على إهمالها .

وهذا فولس[3] الرسول عندهم له كلمات تدل على تهكم وتلاعب بدين النصارى ستأتي متفرقة في أضعاف هذا المختصر إن شاء الله تعالى ، وقد
٧١/ب سمعت بعض / النصارى يذكر أن كل كلمة ينطق بها المسيح مركبة من اللاهوت والناسوت جميعاً ، فيلزم على قول هذا القائل أن يكون الإله قد نطق بكلام المستضعفين إذ يقول في كلامه لليهود : إنكم تريدون قتلي ، وذلك زلل عظيم .

٣١- مناظرة جرت بينه وبين اليهود تشهد له بالنبوة والرسالة : قال يوحنا التلميذ : قال يسوع لليهود الذين حضروه : إن أنتم ثبتم على الحق فالحق يعتقكم ، فقالوا : نحن ذرية إبراهيم وأنت تزعم أنا عبيد . فقال : الحق أقول

== إلا أن الواضح بعد ذلك في أقوال بولس التصريح منه بنسخ الختان نسخاً باتاً ، وعدم الفائدة منه كما تقدم ، واستبدال الختان بالتعميد في العهد الجديد حيث قال بولس في رسالته إلى كولوسي ٢/ ١١ ، ١٢ : وبه أيضا ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد ، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات . أ هـ .

(١) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس ٧/ ١٩ .

(٢) فرقة من فرق النصارى الكبيرة ، وسيأتي التعريف بها .

(٣) لقد سبق لنا في ترجمة بولس (انظر ص ١٠٠) بيان الدور الخطير الذي قام به في انحراف النصارى ، وقد أكد الباحثون المعاصرون من النصارى ما قد قرره علماء المسلمين قديماً في أن المؤسس للنصرانية المنحرفة هو بولس وليس عيسى عليه السلام ، والأدلة على ذلك كثيرة من أقوال بولس في رسائله التي تثبت أنه واضع أسس العقيدة النصرانية المنحرفة ومنها :

قوله في رسالته إلى كولوسي ١/ ١٥ : الذي هو (يعني المسيح) صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة ، فإنه فيه خلق الكل ما في السماوات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أو رئاسات أم سلاطين ، الكل به وله قد خلق) .

وقوله في رسالته إلى رومية ٣/ ٢٣ (إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه) وكذلك في نفس الرسالة ٥/ ١٠ - ٢١ .

وقوله أيضا ٤/ ١٠٠ (وأما أنت فلماذا تدين أخاك . . . لأننا جميعا سوف نقف أمام كرسي المسيح) .

لكم إن من يعمل بالخطيئة فهو عبد الخطيئة، قد عرفت أنكم من ذرية إبراهيم، ولكنكم تريدون قتل رجل كلمكم بالحق الذي سمعه من الله، فقالوا: أما نحن فلسنا مولودين من زنى، وإنما لنا أب واحد هو الله فقال: لو كان الله أباكم كنتم تحبونني؛ لأن الله أرسلني ولستم تفهمون كلامي ولا تطيقون استماع قولي، أنتم من أبيكم إبليس وشهوة أبيكم تأتون. فقالوا: ألم نقل أنك سامري وأن بك جنوناً. فقال: الحق أقول لكم إن من يحفظ كلامي لا / يذوق الموت إلى الأبد. فقالوا: الآن علمنا أنك مجنون، قد مات إبراهيم ١/ ٧٢/ والأنبياء، فلعلك أعظم من أبينا إبراهيم ومن مات من الأنبياء، من تجعل نفسك؟ فقال يسوع: أبوكم إبراهيم اشتهى أن يرى يومي فرأى وفرح. فقال له اليهود: لم يأت لك خمسون سنة فكيف رأيت إبراهيم؟ فقال يسوع: الحق أقول لكم إنني [كائن][1] قبل أن يكون إبراهيم. فتناولوا حجارة ليرجموه، فتوارى يسوع وخرج من الهيكل)[2].

قلت: فقد نطق المسيح في هذا الفصل وفي غيره بأنه رسول من الله، وأنه إنسان من خلقه يروم أعداؤه قتله على تبليغ رسالة ربه، وأنه سامع من الله، وأن الله غيره، ولو أن الأمر على ما يتخيله النصارى لأرشد أهل ذلك المجلس إلى الصواب ولعرّفهم أن الإله لا يتصور قتله والظهور عليه، ولكنه أثبت عندهم أنه رجل ضعيف من بني آدم، وأكد ذلك في نفوسهم بهربه وتواريه من المجلس على أعين الناس وهم يشهدون، وكيف يكون إلهاً ويترك خلقه يرتبكون في حبائل الشكوك، ويقول في محاورته (إنكم تريدون قتلي / وأنا إنسان كلمتكم ١/ ٧٢/ بالحق وفُهْت لكم بالصدق)؟!

(١) إضافة يقتضيها السياق مأخوذة من نص الإنجيل.

(٢) يوحنا ٨/ ٣١ - ٥٩ في سياق طويل، وقد اختصر المؤلف بعضه.

وفي هذا الفصل مواضع يسألون عنها، وكلها قريبة المغزى على من أمعن من مطالعة كتبهم، وعرف نبوات أنبيائهم، منها: قوله (أنا قبل أن يكون إبراهيم) وإنما يريد قبلية الاصطفاء والاجتباء، وتقدير الكلام: (أن الله قدَّر لي النبوة واصطفاني للرسالة قبل خلق إبراهيم)، وهذا محمل يتعين حمل هذا الكلام عليه إن صح نسبته إليه، ولو كان الأمر على ما [ينهق][1] به النصارى من دعوى الربوبية لم يخصص القبلية بإبراهيم ولقال: أنا كنت قبل خلق العالم، وأنا الذي نفخت الروح في حواء وآدم، ولو جاز أن يتمسك بقوله: (أنا قبل أن يكون إبراهيم) لجاز ذلك في سليمان فقد قال عليه السلام في حكمته: (أنا كنت قبل الدني، ا وأنا كنت مع الله حين مدَّ الأرض، وكنت صبياً ألهو بين يديه)[2].

فإن قالوا: هذا مُأَوَّل لأن سليمان[3] من بني إسرائيل، فكيف يكون قبل الدنيا؟!، قلنا: ويسوع المسيح من ولد إبراهيم، فكيف يكون قبل إبراهيم؟!

٧٣/أ فاستوت الحال وترجح جانب سليمان في/ هذه القَبْليّة[4].

---

(١) في ص (يهيق) ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) سفر الأمثال ٨/ ٢٢ - ٣١ بألفاظ متقاربة، وقد ذكره المؤلف مختصراً.

(٣) سليمان بن داود عليهما السلام: اسم عبري معناه (رجل السلام)، وهو وأباه داود عند أهل الكتاب مجرد ملكين من ملوك بني إسرائيل وليسا نبيين من أنبيائهم الكرام، وينسب إليه الهيكل المسمى بـ(هيكل سليمان)، كما ينسبون إليه زوراً وبهتاناً الكثير من كبائر الذنوب، وحتى الشرك بالله، كما ينسبون إليه سفر الجامعة وعدد إصحاحاته (٢)، وسفر الأمثال وإصحاحاته (٣١)، وسفر نشيد الأناشيد واصحاحاته (٨) (ر: سيرته في سفر الملوك الأول وقاموس الكتاب ص ٤٨١، ٤٨٣، ٩٥١) أما في المصادر الإسلامية فإن سليمان وداود عليهما السلام - بلا شك - من أنبياء الله الكرام المعصومين (ر: سيرته في تاريخ الطبري ١/ ٣٤٤ - ٣٥٦، قصص الأنبياء ٤٢٨ - ٤٤٧ لابن كثير وغير ذلك).

(٤) إن كلام المؤلف في الردِّ على استدلال النصارى على ألوهية المسيح بقوله (أنا قبل أن يكون ابراهيم)، مقتبس من كلام الحسن بن أيوب - وقد كان نصرانياً ثم أسلم - في الردِّ على النصارى، وكتابه مفقود، إلا أن الإمام ابن تيمية قد نقل أغلب كتابه في الجواب الصحيح ٢/ ٣٤٠، ٣٤١، كما ذكر الردّ أيضاً المهتدى نصر بن يحيى المتطبب في النصيحة الإيمانة في فضيحة الملة النصرانية ص ٢٧٦، ٢٧٧.

ومنها قولـه : (إن أباكم إبراهيم ليشتهي أن يرى يـومي فرأى وفرح) يحتمل أن يكون إبراهيم كان قـد اشتهى أن يرى يوماً يتلذذ فيه بمناجاة اللـه ومكالمته، فلا جرم أن اللـه تعالى أنالـه طلبته، وأسعفه بحاجتـه، وشرفه نحلته (فكلمـه عند انتصاف النهـار، حين مرت به الملائكة لهلاك قـوم لوط كما شهدت بـه التوراة، وفارقـوه وبقي إبراهيم قائماً بين يـدي الله يناجيه ويتلـذذ بمراجعته ويقـول له : يـارب أتهلك الأبـرار مع الفجـار بغضب واحـد)[1] كما شهـدت بـه التـوراة، فضاهى ذلك اليـوم من حسنه وطيبه يوم المسيح (إذا كـان يدعو ربه عنـد إحياء العـازر، ويقـول : أشكـرك لأنك تستجيب لي، وأنـا أعلم أنك تستجيب لي في كل حين، ولكن أشكرك من أجل هـؤلاء الفئام ليعلموا أنك أرسلتني)[2]. كما نطق به الإنجيل، فهـذا تأويل قول : (إبراهيم اشتهى أن يرى يـومي)، ولو كان على ما يـذهب إليه النصارى لقال : اشتهى أن يـراني، ولم يقل : اشتهى أن يرى يومي.

ويحتمل أيضا أن يكـون إبراهيم كـان قد سأل الله تعـالى أن يجعل / في ذريته ١/ ٧٣ رجلاً صـالحاً تعمّ بركته، فوعـده الله أن يخرج من ذريته من يحيى الميت، ويبرئ الأبرص والأكمه، ويشفي المرضى، فـاشتهى إبراهيم أن يري يومـا من أيام هذا المولود الموعود به لكي يحصل له مع علم اليقين عين اليقين [فأحيا له][3] ميتا أو عـددا من الموتى، وشفى له مـرضى، وكثر لـه من الزاد القليل مـا أشبع الجمع الكثير، وقـال : إن من ذريتك من أُجـري هذه الأمـور على يـده، ففرح بـذلك اليوم التي حصل له فيه من ربه ما حصل.

---

(١) سفر التكوين إصحاح (١٨).

(٢) يوحنا ١١/ ١ - ٤٦ .

(٣) بياض في ص، والاضافة من المحقق حسب سياق الكلام.

وفي الفصل ما يقتضى مساواة المسيح غيره في لفظ البنوة إذ يقولون: (إن أبانا واحد هو الله)، فلم ينكر عليهم [ويقل][1]: كذبتم بل هو أبي دونكم، بل أقرَّهم على ذلك، وقال: (لو أن الله [أبوكم كنتم تحبونني][2])، ومن ذلك قوله: (الحق يعتقكم)، ومعلوم أنهم أحرار، ومن ذلك قوله: (أنتم من أبيكم إبليس)، ومعلوم أنهم من بني آدم، فهذا التوسع من المسيح يوجب صرف الأُبوَّة والبُنوَّة عن ظاهرها.

٧٤/أ ويقتضي إطلاق البنوة على العبد المطيع حيث يقول: لو أن الله / [أبوكم كنتم تحبونني][3].

قال المؤلف عفا الله عنه: لقد فاوضت بعض النصارى فيما يتعلق بألفاظ البنوة، فقال: لا تعجب من تسميتنا السيد المسيح ابناً، فنحن بأسرنا ندعو الله أباً لجميعنا.

فقلت له: فأنتم إذاً مع المسيح في الرتبة، فلم تسمونه ربا وتتخذونه إلهاً؟. ولم يميز عنكم في هذه التسمية؟! فذكر اختصاصه بالخوارق والآيات فتلوت عليه أمثالها صدرت عن عدة من الأنبياء، فحار ولم يحر جواباً، وأصيب ولم يصب صواباً. فليت شعري، أي شيء في هذا الفصل يصلح للاستدلال على ربوبية المسيح وفيه قوله لليهود: (من منكم يوبخني على خطيئة؟!)، وفيه هربه من المجلس بحضرتهم. وهلاّ كان مكان قوله (من منكم يوبخني على خطيئة) من منكم يجحد خلقي العالم؟! ونفخي الروح في آدم؟!، ولم تنكرون ربوبيتي وتجحدون ألوهيتي، وأنا الذي بيده البسط والقبض، وبأمره قامت السماء والأرض؟! وحاشاه حاشاه، بل إنما استدل على نبوته بثبوت عصمته، فقال: من منكم يوبخني على خطيئة؟!

---

(١) في ص (ويقول) والصواب ما أثبته.

(٢، ٣) في ص (أباكم كنتم تحبوني) والصواب ما أثبته.

١/ ٧٤/ب ٣٢- معجزة دالة على نبوته/ : قال يوحنا التلميذ: (أحيا يسوع العازر، وجاء إلى القبر مع أخته، وقال لها: أين دفنتموه؟ فأشارت إلى المغارة التي هو فيها فقال: ارفعوا الحجر عنه. ثم دمعت عيناه، فقال اليهود: انظروا حبه له. فقالت أخت العازر: ياسيد إنه قد أنتن؛ لأن له أربعة أيام، فقال: إن آمنت رأيت مجد الله، فرفعوا الحجر عن القبر، ورفع يسوع بصره إلى فوق، وقال: يا أبتاه أشكرك لأنك تسمع لي، وأعلم أنك تسمع لي في كل حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا أنك أرسلتني، ثم نادى بصوت عظيم: عازار اخرج. فخرج الميت ويداه ورجلاه ملفوفة باللفائف ووجهه مستور بعمامة، فقال يسوع: حُلُّوه ودعوه يمضي إلى بيته)[1].

قلت: بهذا وشبهه ثبتت نبوة المسيح، ووضحت رسالته، وقطع ألسن اليهود الذي قرفوه بالخناء، ونسبوا أمير الصدق إلى الزنا، وهذا الكلام من المسيح هو التحدي على النبوة.

فإن نازع اليهود في صدق هذه الآية من المسيح [ود] لالتها[2] على النبوة / ١/ ٧٥/ ورد عليهم ذلك بعينه في شق البحر وإجراء المياه من حجر [الصَّوَان][3] وغيره من آيات موسى، وكل سؤال انعكس على مورده فهو مردود من أصله.

وإن زعم النصارى أن ذلك دليل على ربوبية المسيح إذ ليس في مقدور البشر إحياء من في القبور، قلنا: قد بينا في الباب الأول عبودية المسيح، وأنه إنسان من الخلق أكرمه الله بالآيات وأمده بالمعجزات، والربُّ تعالى هو الذي يعيد الروح إلى قالبها، ويفعل ذلك عند دعوة النبي ليتوجه على العباد قبول أمره

---

(١) يوحنا ١١/ ١ - ٤٤ في سياق طويل، وقد اختصر المؤلف بعضه.

(٢) في ص: بياض، والمثبت من اجتهاد المحقق حسب سياق الكلام. والله أعلم.

(٣) في ص: (الطران) ولا معنى له، ولعله تحريف من الناسخ، وما أثبته موافق لسياق الكلام و(الصوان) ضرب من الحجارة شديد.

وينزل ذلك منه سبحانه منزلة قوله صدق عبدي فأطيعوه، وهذا كما فلق البحر بسؤال موسى، وأخرج له من الرمل حيواناً كثيراً [قملا فأرسله][1] إلى فرعون وجنوده، وقد شهد كتاب [سفر][2] الملوك من كتبهم: أن قوماً حملوا ميتاً لهم إلى [القبر فرأوا عدوا لهم][3]، فطرحوا الميت عن أعناقهم، وابتدروا [الهرب إلى المدينة، فأحيا الله تعالى الميت][4]، وأقبل حتى دخل المدينة، فنظروا [فاذا هم قد و ضعوه على قبر][5] نبي الله اليسع، فهذا تراب [قبر اليسع قد أحيا ميتا وهو أعجب][6] من فعل المسيح، والمسيح سأل / وتضرع في ذلك، واليسع ٧٥/ب
ميت لم ينسب إليه سؤال.

وقد ذكر أشعيا النبي (أن الله عز وجل قال لحزقيال: قم فتنبأ على هذه العظام حتى أحييها لك. ففعل فأحيا الله بدعوته عالماً كبيراً يقال: أنهم ثلاثون ألفا، وقيل: ستون ألفا، كان بختنصر اليوناني قتلهم، وكان لهم من يوم قتلوا ستون سنة)[7]، وقد أحيا إلياس وغيره[8] الأموات.

(وقد كان موسى ضرب بعصاه الرمل فتَكَوَّن منه [قمل][9] وذباب فانثال على أعدائه)[10]، ولا شك أن من صوَّر حيواناً ابتداءً فهو أبدع ممن أعاد الروح إلى قالبها الأول. وكل هذه المنقولات تشهد بها التوراة والنبوات، فهلاّ اتخذ

---

١) في ص بياض، والإضافة من نص التوراة سفر الخروج ٨/ ١٦، ١٧.
(٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦)، بياض وسقط في الأصل، وقد أكملت النقص من سفر الملوك الثاني ١٣/ ٢٠ - ٢١، ومن المنتخب الجليل من تحجيل من حرّف الإنجيل لأبي الفضل المالكي ص ٨٢.
(٧) ورد النص في سفر حزقيال ٣٧/ ١ - ١٠ ولم يرد في سفر أشعيا كما ذكر المؤلف، ولعله سهو منه، أو إضافة من الناسخ.
(٨) ورد في سفر الملوك الأول ١٧/ ١٧ - ٢٤ أن النبي إيليا (إلياس) عليه السلام أحيا ابن الأرملة الميت، وكذلك أحيا النبي اليسع عليه السلام ابن الإسرائيلية الميت كما ذُكر في سفر الملوك الثاني ٤/ ١٨ - ٣٧.
(٩) في ص (قملاً) والصواب ما أثبته.
(١٠) سفر الخروج ٨/ ١٦، ١٧.

النصارى من ذكرنا من الأنبياء آلهة وأرباباً، وقد أربوا على ما صدر من المسيح عليهم السلام.

واعلم أن في قصة العازر أشياء تمنع النصارى من اعتقاد ربوبية المسيح، منها:

قوله: (أين دفنتموه)، فإنه لو كان المسيح ربه [لعرف إين][1] مكانه. فكيف يسأل الرب عن موضع [قبر العازر][2]؟!.

ومنها: استعباره عند رؤية قبره [وذلك من صفات][3] الآدميين وحُنُوٌّ ٦/١ الجنسية.

ومنها: قوله لأخت الميت: إن آمنت رأيت مجد الله، أضاف القدرة على الإحياء إلى غيره.

ومنها: ابتهاله وطلبه من الله وإظهار فاقته وحاجته إليه سبحانه، وعجزه وقصوره عن أن يأخذ إلا ما أعطاه، وقد صرّح هو بذلك في موضع آخر من الإنجيل إذ يقول: (إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئاً ولا يتفكر فيه إلا أن يأمره الأب)[4] وهذا غاية العجز والافتقار، فلو كان المسيح هو الله أو الله حالاً فيه كما يقول النصارى للزم اتحاد السائل والمسؤول، والداعي والمدعو، والطالب والمطلوب منه.

ولو كان الله هو المسيح أو صفة من صفاته لجر إلى تلبيس عظيم، إذ سؤاله غيره، وطلبه من غير مطلوب منه، تلبيس وتدليس، وحمل لخلقه أن يقفوا به دون حقه، وأن يعاملوه بما يقصر عن جلاله، ولا يعطونه من الخدمة والعبادة ما

---

(١)، (٢)، (٣) طمس وبياض في الأصل، وإكمال النقص من المحقق حسب سياق الكلام.

(٤) إنجيل يوحنا ٥/ ٩، ٨/ ٢٨ بنفس المعنى.

يتقاضاه الربوبية وتوجيه الإلهية بل يعاملونه معاملة البشر ويخاطبونه مخاطبة الآدميين، فينسبونه تارة إلى بنوة داود وأخرى إلى بنوة يوسف / ومريم، وذلك غض عظيم من منصب الربوبية وحط لجلال الألوهية. ١/٧٦/ب

فنحن - يرحمك الله - نسأل النصارى عن هذا الداعي المبتهل الطالب أهو الإله الأزلي الواحد أو إنسان من بني آدم؟

فإن قالوا: إنه إنسان من بني آدم وافقوا شريعتنا وخالفوا شريعتهم إذ تقول: (أن المسيح إله حق من إله حق من جوهر الله، وأن المسيح بيده أتقن العوالم وخلق كل شيء) وحنيئذ يصيروا مسلمين إذا اعترفوا بالرسول ﷺ.

وإن زعموا أن القائل لذلك هو الإله الخالق الأزلي الواحد، فقد صرحوا أن الله الأزلي لا يعلم المغيبات، وأنه مفتقر إلى سؤال غيره، وأن له رباً فوقه يسأله حوائجه، ويضرع إليه في نوازله ومآربه، وكفى بذلك تجاهلاً.

مؤاخذة على إحياء العازر: ذكر يوحنا في قصة العازر هذه أن مريم ومرثا أختا العازر ذهبتا إلى يسوع فقالتا: (يا سيد إن حبيبك العازر قد مات، فقال يسوع: ليس هذا موتاً على الحقيقة، ولكن ليظهر مجد الله)[1]. ١/٧٧/أ

قلت: لايخلو أن يكون / العازر مات أو لم يمت، فان كان قد مات، فكيف يقول: إنه لم يمت حقيقة، وان كان لم يمت لم يحصل الإعجاز بإحياء من لم يمت وإحياء الحي محال.

---

(١) ورد النص في إنجيل يوحنا ١١/ ٣، ٤ كالآتي: (فأرسلت الأختان إليه قائلتين: يا سيد هوذا الذي تحبه مريض، فلما سمع يسوع قال: هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله؛ ليتمجد ابن الله به). اهـ. هو مخالف للنص الذي ذكره المؤلف، ولا يتطرق إليه الاعتراض الذي ذكره؛ لاختلاف عبارات النَّصين.

نكتـه : من غَلُظَ فهمـه وأظلم حسـه وكثف لبـه افتقر في إرشـاده إلى معجـز كثيف ، فلا جرم كانت الآيات في أهل الكتاب من جنس فُهومِهِمْ .

ولما لطفت أفهـام آخرين وتـروحنت نفـوسهم وقوي نفـوذ إدراكهم اكتفى في هدايتهم بالـروحاني من المعجز، فلا جرم آمن طـوائف بمجرد رؤية نبيهم وسماع أول كلامه ، ولم يتوقف إيمانهم على ما توقف عليه إيمان الأولين .

نكته أخرى : من أرسله الملك إلى قطر في أمـر ذي بال فهو إما خصيص به أو غير خصيص ، فإن كان خصيصاً به لم يحتج في تبليغ أوامـره إلى مزيد ثبته . وإن كان الآخر فلابدَّ لوجوب الامتثـال مما يقطع الاحتمال ، فقد ثبتت بحمد الله نبوة المسيح ، وتقررت رسـالته بـالأدلة المستنبطـة من كتبهم على وجه لاخفـاء به على من نَوَّرَ الله قلبه . ١/ ٧٧/ ب